شهرية ثقافية، تصدر عن
منظمة أفكار بلا حدود
العدد: 2، سبتمبر 2022

مجلة أفكار بلا حدود

العبودية
لم تنقرض بعد..
وقد تكون أنت أحد ضحاياها!

تقرؤون أيضاً:

- لماذا معظم أسماء النجوم عربية؟
- هل الوعي حكر على البشر؟

شهرية ثقافية، تصدر عن
منظمة **أفكار بلا حدود**

العدد: 2، سبتمبر 2022

مجلة أفكار بلا حدود

نجعل غير المُتاح **مُتاحاً**

تقرؤون في هذا العدد

العبودية لم تنقرض بعد.. وقد تكون أنت أحد ضحاياها!	1
لماذا معظم أسماء النجوم عربية	2
هل الوعي حكر على البشر؟	5
طه حسين والتنوير العربي	10
نساء كسرن احتكار الرجال لأم العلوم.. الفلسفة	14
الجاحظ العالم العربي الذي تكلم عن التطور قبل داروين بألف عام	17
العصر الذهبي العربي.. هل بإمكاننا استعادته؟	21
هل نعيش في عصر ما بعد الحقيقية؟	25
لماذا كل هذا التحامل على العلمانية؟	29
النسوية العربية الجذور والتاريخ	32
إنجازات مشروع بيت الحكمة خلال شهر أغسطس	36

العبودية لم تنقرض بعد.. وقد تكون أنت أحد ضحاياها!

يرتبط مفهوم العبودية عند الكثير منا بمرحلة تاريخية عابرة شهدت عمليات استقدام الأفارقة عبر المحيط الأطلسي إلى القارة الأمريكية على متن السفن القادمة من القارة الأفريقية عبر المحيط الأطلسي إلى الأمريكيتين لبيعهم في المستعمرات الأوروبية في العالم الجديد واستخدامهم للعمل في مزارع البن والقطن والكاكاو ومناجم الذهب والفضة وفي صناعات البناء والعمل في المنازل. إلّا أن الاسترقاق لا يقتصر على مرحلة واحدة فقط من التاريخ بل تعود أصوله إلى أوائل المجتمعات البشرية، وما يزال مستمرًا حتى يومنا هذا.

نظرة عامة

يمكن تعريف العبودية بأنها امتلاك شخص ما لشخص آخر، وحرمانه من أحد أهم حقوقه، الحق في الحرية. في عام ١٩٨١، أصبحت موريتانيا آخر بلد في العالم يمنع العبودية بشكلها التقليدي، وتم بذلك القضاء على الاسترقاق (على الورق) في كافة أنحاء العالم. أما على أرض الواقع، فالأمر مختلف إلى حد بعيد، إذ من الممكن تصنيف العديد من الممارسات، كالاعتقال السياسي وتجنيد الأطفال بالحروب وعمالتهم والزواج القسري والاستغلال الاقتصادي على أنها من أشكال العبودية الحديثة، كما أن الاسترقاق التقليدي، المتمثل ببيع وشراء وتوريث العبيد، ما يزال موجودًا في بعض دول العالم، ولكن بصورة غير قانونية. تنص المادة الرابعة من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على ما يلي: «لا يجوز استرقاق أي شخص أو استعباده، ويحظر الرق وتجارة الرقيق بجميع أشكالها». مع ذلك، كشفت دراسة وضعتها منظمة العمل الدولية ومنظمة «ووك فري» بالاشتراك مع منظمة الهجرة الدولية عن أن عدد ضحايا العبودية الحديثة في العالم في عام ٢٠١٦ فاق ٤٠ مليوناً. وقد أرفقت منظمة العمل الدولية الدراسة بتقديرات عن عمل الأطفال أكدت أن نحو ١٥٢ مليون طفل بعمر ٥-١٧ عاماً عرضة لعمل الأطفال. كما أظهر التقرير أن العبودية الحديثة أشد وطأة على النساء والفتيات فتؤثر على قرابة ٢٩ مليوناً منهن أي ٧١٪ من إجمالي ضحاياها. وتمثل النساء ٩٩٪ من ضحايا العمل الجبري في صناعة الجنس ٨٤٪ من ضحايا الزواج القسري.

تاريخ العبودية

بدأت ظاهرة الاسترقاق مع تحول المجتمعات البشرية من الاعتماد على الصيد إلى الاعتماد على الزراعة المنظمة. يتناول كتاب «قصة الحضارة»، للمؤرخ والفيلسوف الأمريكي، ويل ديورانت وزوجته أريل ديورانت، كيفية تحول الإنسان من المساواة التامة في الجماعة البشرية حين كان نشاطه الاقتصادي الأساسي متمثلًا بالرعي أو الصيد، إلى المدنية مع توجهه للاعتماد على الزراعة التي قامت على مبدأي الاستعباد والملكية الخاصة. يرى ول ديورانت أن الصائد كان يعتمد على نفسه في تأمين الطعام الكافي له ولأسرته الصغيرة، ولم يكن بحاجة إلى فم إضافي لمساعدته، لكن، ومع تجمع الناس في البلدات والمدن وتأسيس المجتمعات البشرية، أصبح من الضروري تأمين كميات أكبر من الغذاء، وظهرت عندها الحاجة للأيدي العاملة، فلجأ البعض للاسترقاق كوسيلة لتوفير هذه الأيدي العاملة. يقول ديورانت: «وضعت الزراعة أسس المدنية، لكنها، وإلى جانب انتهائها إلى نظام المَلَكية، انتهت إلى نظام الرق الذي لم يكن معروفًا في الجماعات التي كانت تعتمد في حياتها على الصيد الخالص».

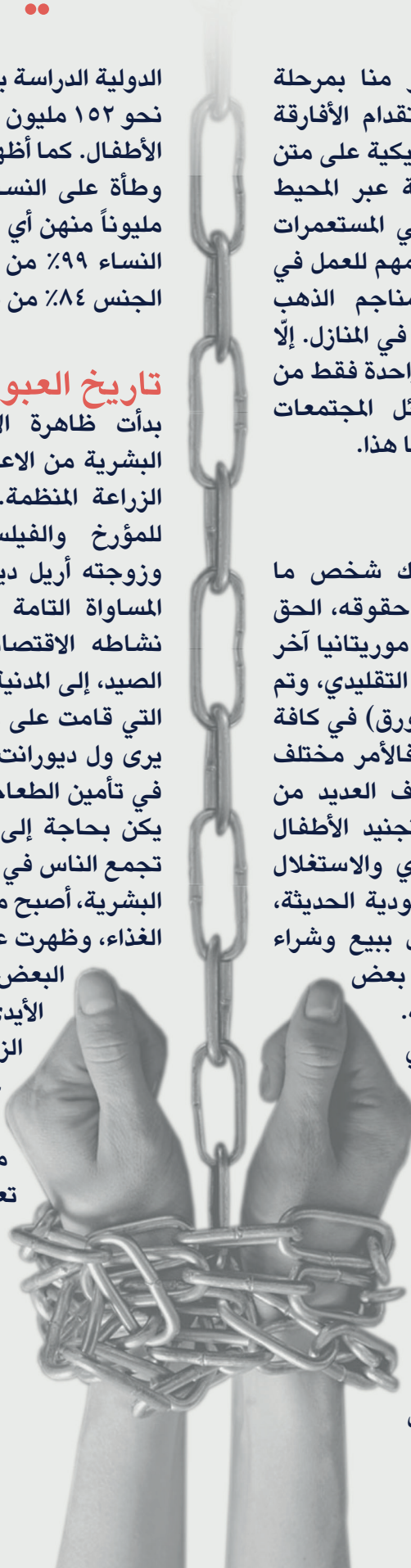

مظاهر العبودية في القرن الواحد والعشرين

العبودية التقليدية لم تختف بعد

ما تزال العبودية بمفهومها القَديم أي «تملك الشخص لشخص آخر» موجودة في موريتانيا وعدة بلدان أخرى تقع غربي القارة الأفريقية، وقد لاقت الجهود الساعية للقضاء عليها بشكل نهائي في العقود الأخيرة فشلاً ذريعًا.

تقول المنظمة الدولية المناهضة للعبودية إن ما يصل إلى ٦٠٠ ألف رجل وامرأة وطفل يعيشون في حالة استعباد في موريتانيا، وهي نسبة تصل إلى ٢٠٪ من السكان، وتمثل هذه النسبة أعلى نسبة عبودية متوارثة في العالم، فيما يعيش قرابة ٥٠٠ ألف شخص آخر تحت وطأة العبودية الحديثة أو في ظروف تشابه ظروف العبودية.

الاسترقاق في الوظائف

أصبحت الوظيفة المعاصرة في البلدان الرأسمالية الحديثة تعرف على أنها استقطاع لوقت الشخص لصالح مؤسسة أو شركة أو شخص ما مقابل تقاضي أجر معين أو مردود متفق عليه. يرى كارل ماركس أن هذا النوع من الوظائف ما هو إلا تغير في شكل العبودية، من الاسترقاق الزراعي التقليدي إلى التوظيف، ويقول: «كان الناس في السابق يشترون العبيد ويؤجرونهم، أما اليوم، فقد أصبحنا نؤجر أنفسنا بأنفسنا»، ويقول الفيلسوف والناقد الثقافي الألماني، فريدريك نيتشه: «اليوم، وكما كان الوضع دائمًا، ينقسم الناس إلى مجموعتين: عبيد وأحرار. ومن لا يملك ثلثي يومه لنفسه فهو عبد، أيًا كانت وظيفته: رجل دولة، رجل أعمال، موظف، أو عالم».

عمالة الأطفال

بعيدًا عن الوظائف التي قد يختلف الناس في تصنيفها على أنها عبودية حديثة أم توظيف عادل، يُرسل الآلاف من الأطفال في هاييتي بشكل سنوي للعمل كخدم في المنازل فيما يعرف باسم نظام ريستافيك لعجز الأهل عن تأمين أبسط مستلزماتهم، وغالبًا ما يحرم هؤلاء الأطفال من التعليم، ويجبرون على العمل لمدة تصل حتى ١٤ ساعة يوميًا، ومن الممكن أيضًا أن يقعوا ضحايا للاعتداء الجنسي.

ظروف عمل لا تختلف العبودية

تسبب زيادة الاستهلاك العالمي الهائل للسلع الإلكترونية بتفاقم أعداد العمال في مناجم «كولتان» في جمهورية الكونغو الديمقراطية، الذين يعملون بظروف أقرب ما تكون للاستعباد، بحثًا عن الذهب، والكولتان، والموليبدنوم، والنيوبيوم، والقصدير، التي تدخل في صناعة السلع الإلكترونية التي تعتمد عليها أهم شركات الإلكترونيات والتكنولوجيا على مستوى العالم.

وفقًا لمنظمة «أنقذوا الأطفال»، يعمل ما بين ٥ إلى ٦ آلاف طفل في صناعة تعدين الكولتان، ويحيط بهم حراس مسلحون يمنعونهم من الهروب، في حين يذهب جزء كبير من ربح هذه التجارة لتمويل حرب الميليشيات القائمة وسط إفريقيا.

تجنيد الأطفال

تتشابه العبودية الحديثة مع العبودية التاريخية باستخدام العبيد في الجيوش خصوصًا الأطفال. يعود سبب انتشار محاولات زج الأطفال في الحروب إلى سهولة تخويفهم والسيطرة عليهم ولقابليتهم لإبداء الولاء لرموز السلطة وللأفكار «المقدسة» ولسهولة استقطابهم من خلال إطلاق وعود زائفة. تستغل الميليشيات في مختلف أنحاء العالم هذه السمات عند الأطفال لتدريبهم على حمل السلاح دفاعًا عن أفكار أو شخصيات معينة.

عرّفت وثيقتا مبادئ باريس والتزام باريس في عام ٢٠٠٧ الطفل المجند بأنه كل طفل دون سن الثامنة عشر ارتبط بقوة أو بجماعة مسلحة عسكرية وكان أو ما يزال مجنّدًا أو مُستخدَمًا بواسطة قوة أو جماعة عسكرية بأي صفة، بما في ذلك على سبيل المثال وليس الحصر، الأطفال والغلمان والفتيات الذين يتم استخدامهم كمحاربين أو طهاة أو حمّالين أو جواسيس أو لأغراض جنسية. جُند في عام ٢٠١٩ وحده، وفقًا لتقديرات منظمة اليونيسيف، ما يقرب من ٣٠٠ ألف طفل حول العالم من قبل جماعات إرهابية في نزاعات مسلحة، تدور رحاها على أراضي ٣٠ دولة حول العالم.

خاتمة

مع اختفائها من دساتير وقوانين جميع أنحاء العالم في عام ١٩٨١، لم تنتهِ مظاهر العبودية حتى يومنا هذا، ومع أن مظاهر العبودية وبيع وشراء وتوريث العبيد قد انتهت بشكل رسميٍ في كل بلدان العالم، إلا أنها ما تزال تمُارس في بعض بلدان غربي أفريقيا عمومًا وفي موريتانيا خصوصًا، كما أنّ مفهوم العبودية الحديثة اليوم يشتمل على العديد من الممارسات الأخرى التي قد تكون أنت أحد ضحاياها.

لماذا معظم أسماء النجوم عربية

تقدم معظم روايات تاريخ علم الفلك تطورًا خطيًا لتسمية النجوم من الموسوعيين اليونانيين إلى العلماء المسلمين ثم أوروبيي عصر التنوير.

سماء ونجوم الليل الحديثة فوضوية، مغمورة ببقايا التفاعلات الثقافية التي تمتد لآلاف السنين. تحمل أشكال الأبراج اليونانية وبلاد الرافدين أسماء لاتينية. تُميَّز النجوم اللامعة بأحرف من الأبجدية اليونانية، ومع ذلك فإن معظمها يحمل أسماء مشتقة من اللغة العربية.

لمن هذه النجوم؟ تمامًا مثل صورة فوتوشوب التي دُمجت طبقاتها المتعددة، ظهر نسيج السماء متعدد الثقافات من خلال عملية فهرسة النجوم. يكون هذا مفيدًا عندما يحتاج المجتمع الدولي من العلماء إلى التأكد من أنهم يتحدثون نفس اللغة، ولكن نتيجة لذلك، فإنه يتخلص من مناظر بديلة للسماء، مثل الطبقات المخفية لصورة فوتوشوب للأرض.

الثريا

اخرج الليلة، بعد ساعتين من غروب الشمس، وانظر إلى الشرق. هناك، في إحدى أكثر مناطق السماء كثافة، قد تتعرف على النجم الأحمر اللامع المعروف اليوم باسم (Aldebaran alpha Tauri). منذ عصور ما قبل الإسلام (قبل ٦١٠ ميلادي)، كان الاسم العربي لهذا النجم هو التابع. سمي بهذا الاسم لأنه يتبع في أعقاب أكثر الأشياء شهرة في سماء الليل العربي: العنقود النجمي اللامع الذي يُطلق عليه اسم الثريا، والمعروف اليوم باسم الثريا. كان هذا العنقود النجمي مشهورًا للغاية لدرجة أنه غالبًا ما كان يطلق عليه ببساطة النجم.

لم تكن شبه الجزيرة العربية في هذا الوقت متجانسة في الثقافة أو اللغة، لذلك كان يُعبَّر عنه أيضًا باسم تابع النجم. أحيانًا كان يُطلق على هذا النجم اسم حَاجِ النَّجم، كأنه يقود الثريا أمامه. يصور الشاعر الأموي ذو الرمّة (المتوفى ٧٣٥ م) مشهد السماء بشكل جميل بخيال عظيم قائلًا:

وَرَدتُ اِعتِسافا وَالثُرَيّا كَأَنَّها

عَلى قِمَّةِ الرَأسِ اِبنُ ماءٍ مُحَلِّقُ

يَدُفُّ عَلى آثارِها دَبَرانُها

فَلا هُوَ مَسبوقٌ وَلا هُوَ يَلحَقُ

بِعِشرينَ مِن صُغرى النُجومِ كَأَنَّها

وَإِياهُ في الخَضراءِ لَو كانَ يَنطِقُ

قِلاصٌ حَداها راكِبٌ مُتَعَمِّمٌ

هَجائِنُ قَد كادَت عَلَيهِ تَفَرَّقُ

قُرانى وَأَشتاتاً وَحادٍ يَسوقُها

إِلى الماءِ مِن جَوزِ التَنوفَةِ مُطلِقُ

يحدث غروب الثريا في الغرب عندما يتجاوزه ضوء الفجر خلال موسم الأمطار العربي المسمى الوسمي. كانت أمطار الخريف هذه غزيرة التي وسمت الصحراء بأوراق الشجر الخضراء. بعد حوالي أسبوع من الثريا، يجلب التابع أيضًا أمطارًا غزيرة، ما أكسبها لقبًا آخر: محرض المطر.
على الرغم من شهرتها العربية، فإن اسم الثريا ما يزال قائمًا دون اسم نجم حديث. ومع ذلك، يُجسد هذا العنقود النجمي كشخصية أنثوية ذات ذراعين

واسعين، ومن هذه الأذرع تأتي أسماء النجوم المعترف بها دوليًا مثل سيف والمرفق والمنقب. أما الذراع الأقصر فكانت تسمى اليد المبتورة لأنها أقصر. ويمثل ذلك سلسلة من النجوم التي تمتد من الثريا إلى كوكبة قيطس اليونانية.

أما الذراع الأخرى فكانت تسمى اليد المصبوغة بالحناء (الكَف المُخَضِّب)؛ لأن أحد النجوم نهايتها برتقالي مثل لون الحنة بعد جفافها. يمتد هذا الذراع عبر حقول النجوم الكثيفة لمجرة درب التبانة. كانت اليد المصبوغة بالحناء مفصّلة جيدًا بالعديد من النجوم المسماة، وبعضها بقي مستخدمًا كأسماء نجوم حديثة مثل اليد، والمرفق والمنكب. بالإضافة إلى هذه النقاط المسماة الأخرى التي تضمنت الكتف، الذراع (العضد)، الساعد (الذراع) والطرف والحفرة من الكوع. بين الساعد واليد نفسها بقعة غامضة من السماء تم تفسيرها على أنها وشم على الرسغ (غسل الميسم) في الثريا. تكشف المناظير عن هذا الغموض ليكون الكتلة المزدوجة الشهيرة من Perseus (NGC ٨٦٩ و NGC ٨٨٤).

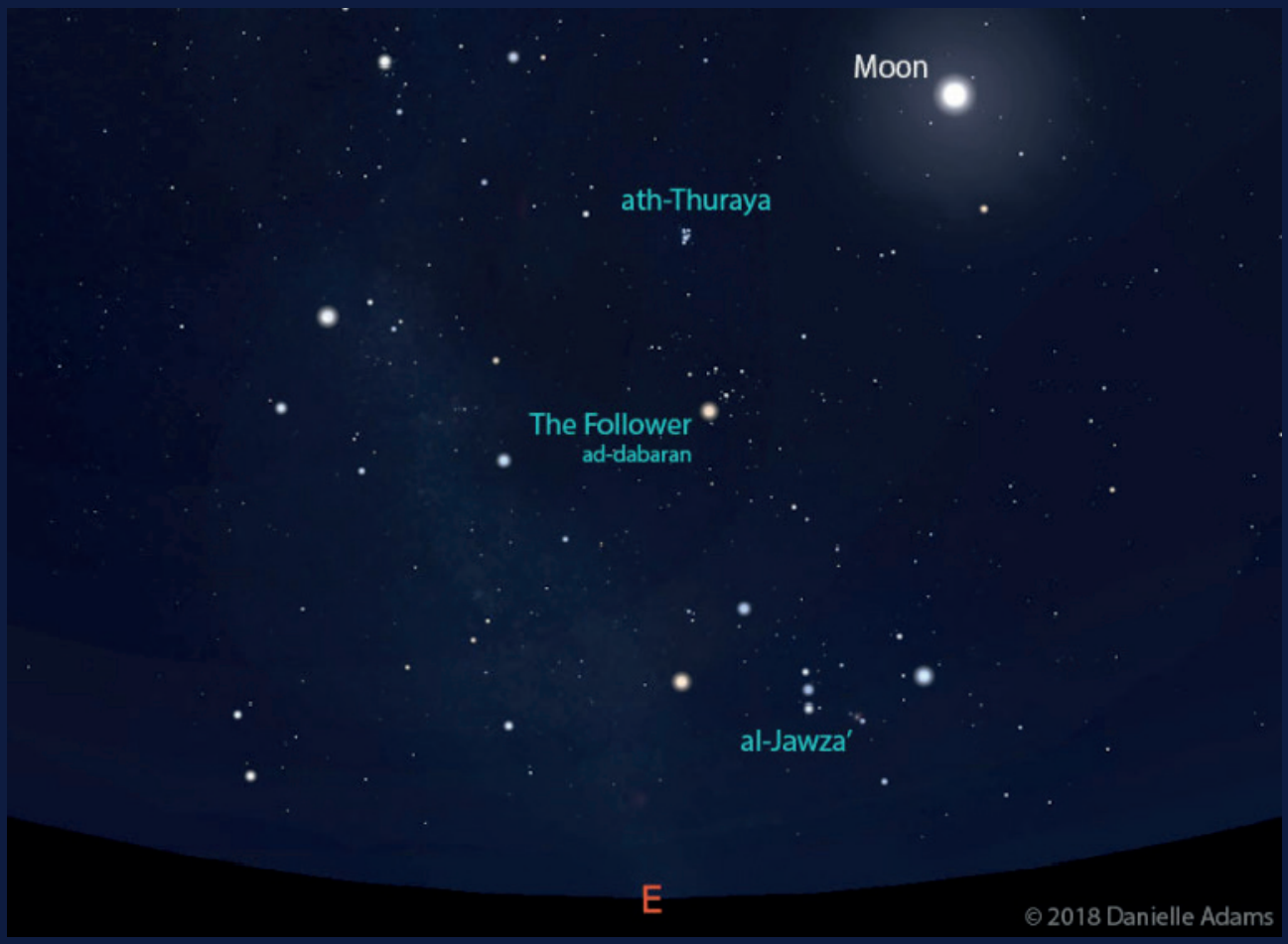

الصورة لنجم الثريا

قصة نجوم سهيل والجوزاء

إذا سألت معظم العرب اليوم عن الجوزاء، فسوف يوجهونك إلى برج الجوزاء اليوناني. ومع ذلك، منذ فترة طويلة، ارتبط الشكل العربي للجوزاء إلى حد كبير بنجوم الجبار، وفي البداية كان من المحتمل أن يتضمن الرقم فقط النجوم الثلاثة اللامعة التي تميز حزام الجبار في العصر الحديث.

مثل الثريا، فإن الجوزاء هو اسم علم مستخدَم منذ زمن طويل، وجذره العربي ينقل الإحساس بالوجود وسط شيء آخر. من المحتمل أن الاسم قد طُبِّق على حساب المظهر المرئي لخط شبه كامل من ثلاث نجوم متباعدة على مسافات متساوية، والتي كانت معًا تقع بين زوجين آخرين من النجوم الساطعة التي جاءت في الوقت المناسب لتمثل أيدي وأقدام الجوزاء. في الواقع، ربما كان مجرد النجم المركزي للثلاثة هو أول من حمل اسم الجوزاء. عُثر على خط مشابه ولكن أقل سطوعًا من ثلاثة نجوم في مقبض بيغ ديبر الحديث، وهو النجم المركزي الذي حدده ابن قتيبة أيضًا باسم الجوزاء.

تحكي أسطورة عربية قديمة قصة المرأة الجوزاء التي وُعدت لرجل يُدعى سهيل. عاش هذا الرجل قرب النهر مع شقيقتيه، والمعروفتين معًا باسم أختين شيرا. ولما جاءت ليلة الزفاف حدث شيء مروع وبحلول الصباح ماتت الجوزاء.

خوفًا على حياته، فرَّ سهيل بعيدًا إلى الجنوب. عبرت إحدى شقيقاته النهر لتكون أقرب إليه، ولذلك أطلق عليها اسم الجوزاء التي عبرت. بقيت أخته الأخرى في المنزل وبكت بحرقة، لذلك أطلق عليها اسم الشيعة الغميسة.

مع مرور الوقت، امتد شكل الجوزة ليشمل يدان، وقدمان (رجلي الجوزاء)، ورأس (رأس الجوزاء) بخصلات متدفقة من الشعر (الذوائب). كما حصلت الجوزاء على بعض الممتلكات، بما في ذلك قوس كبير (قوس الجوز) ومسند قدمين، ومسند قدم أمامي (الكرسي المقدم) ومسند قدم خلفي. بعيدًا عن هذه الأجزاء، ظهر مثلث من النجوم الساطعة يتوسطه نجم ضارب إلى الحمرة ليمثل رأس الجوزاء، وهو اسم قديم أثبِت منذ زمن بعيد في شعر المهلهل (توفي سنة ٥٣١ م).

تظهر نجوم التابع والجوزاء وسهيل والأختان تظهر جميعها في الشعر الجاهلي للمهلهل الذي توفي في ٥٣١ م، قبل مئة عام تقريبًا قبل ظهور الإسلام. لقد كانوا حجر الزاوية في تقاليد النجوم العربية لمئات السنين، ما يثري الشعر وتعمل كمنارات في الليل لأولئك الذين يمخرون عباب الصحراء. لقد عانى البعض حتى اليوم. آخرون شردتهم الصور اليونانية للسماء ليلاً.

”

قوة الإنسان ليست
في قبول الأجوبة،
وإنما هي،
على العكس،
في ابتكار الأسئلة

“

~ أدونيس

هل الوعي حكر على البشر؟

مر الوعي البشري عبر التاريخ بعدة صدمات ما يزال يتعافى من آثارها حتى الآن، فبعد عشرات القرون التي اعتقد فيها الإنسان بأن الأرض التي يقطنها البشر مركز الكون، وبأن السماء والشمس والنجوم توابع لهذه الأرض، جاء كوبرنيكوس لينفي مركزية الأرض ويؤكد، في كتابه «حول دوران الأجرام السماوية» أن الكرة الأرضية ما هي إلا كوكب صغير في مجموعة كواكب تدور حول الشمس، وسبّب بذلك أول صدمة لكبرياء البشر الذين لطالما رأوا في أنفسهم أسيادًا للكون، أما الصدمة الثانية فكانت مع تدمير الأبحاث البيولوجية، التي قام بها داروين ووالاس وأسلافهما، لمكانة البشر المفترضة بين الكائنات الحية، والتي أثبتت انتماءهم لمملكة الحيوان، وتطورهم عبر ملايين السنين ليصلوا للشكل الذي هم عليه الآن، وتثبت أن ما من شيء يميزهم عن بقية الحيوانات سوى تطور إبهامهم وحبالهم الصوتية بالشكل الذي سمح لهم باستعمال الأدوات والتواصل بسهولة ونقل الخبرات وتدوين الابتكارات. مع ذلك، بقيت مسألة تميز البشر عن بقية الكائنات بالوعي، محل جدل بين العلماء والباحثين حتى يومنا هذا.

يستخدم العديد من المدافعين عن حقوق الحيوانات حجة الوعي لدى الحيوانات لتدعيم آرائهم المناهضة لإجراء التجارب العلمية المختلفة عليها، كما يستخدمها النباتيون للترويج لأفكارهم التي تمنعهم من تناول لحومها أو حتى الاستفادة من حليبها وبيضها. فهل حججهم منطقية، وهل الوعي من سمات الحيوانات؟ أم أنه حكر على البشر؟

للإجابة على هذا السؤال علينا أولاً أن نجيب على أحد أكثر الأسئلة الفلسفية تعقيدًا..

ما هو الوعي؟

بذل الفلاسفة جهودًا مضنية للوصول إلى مفهوم الوعي، ووضعوا فرضيات متناقضة غير متناهية حول ماهيته، إذ يرى أتباع الفلسفة الروحية الشاملة أن جميع الموجودات، بما فيها الجمادات، واعية. بالمقابل، وعلى النقيض من ذلك، يرى بعض الماديين أن جميع الكائنات، بما فيها البشر، لا تمتلك قدرًا كبيرًا من الوعي.

ظل اختصاص تحديد طبيعة الوعي حكرًا على الفلاسفة فقط لعدة قرون، إلا أن العلماء دخلوا هذا المضمار أخيرًا في القرن الماضي، وتحولت بذلك قضية تحديد طبيعة الوعي من قضية فلسفية بحتة إلى قضية علمية يمكن التعامل معها من خلال

التجارب المخبرية. مع ذلك، ما تزال البيانات الموثقة حول هذه التجارب محدودة للغاية. سهّل تطور علوم الأعصاب والنفس والأحياء في القرن الحادي والعشرين، عمليات وضع تصورات لمفهوم الوعي، ما ساعد على وضع أجوبة أكثر منطقية للأسئلة الغامضة المرتبطة بالوعي.

الوعي من وجهة نظر علم الأعصاب

وضع عالم النفس والأعصاب الأمريكي، مايكل ستيفن أنتوني جرازيانو، في العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين «نظرية مخطط الانتباه» في محاولة منه للإجابة على الأسئلة الكبرى المتعلقة بالوعي. تفترض نظرية جرازيانو أن الوعي تطور ليحل المشكلة الأساسية التي يعاني منها أي جهاز عصبي والمتمثلة بتدفق كم هائل من المعلومات التي عليه معالجتها بشكل كامل، وهو ما دفع الدماغ ليتطور ويزيد من آليات المعالجة التي يتبعها في محاولة منه للتركيز على بعض المعلومات ومعالجتها بشكل عميق على حساب المعلومات الأخرى الأقل أهمية. يمكننا، وفقًا لهذه النظرية، أن نعتبر بأن الوعي قد تطور تدريجيًا عند الكائنات الحية خلال الخمسمئة مليون سنة الماضية، وأنه من الممكن أن يتواجد عند بعض الأنواع من الفقاريات.

تطور الوعي عند الكائنات الحية

يمكننا فهم بداية تطور التعزيز الانتقائي للإشارات من خلال دراسة أنواع مختلفة من الحيوانات. تمتلك الهيدرا، ذات أبسط جهاز عصبي معروف، شبكة عصبية. يؤدي تنبيه أي نقطة من جسم الهيدرية لاستجابة جميع أجزاء جسمها، ما يثبت انعدام وجود أي نوع من المعالجة الاختيارية عندها. حدث الانفصال بين أسلاف الهيدرا والمفصليات، وفقًا للتحليل الجيني، قبل ٧٠٠ مليون سنة تقريبًا، وظهر أول تعزيز انتقائي للإشارة بعد ذلك مع بداية الحياة المعقدة عند متعددات الخلايا. تبع ذلك تطور متحكم الانتباه المركزي الذي يعمل على تنسيق الإشارات العصبية القادمة من الحواس المختلفة، وتمثل هذا المتحكم، عند أغلب الحيوانات، ب «السقف الدماغي» الذي يوجه المستقبلات الحسية للتنبه للإشارات المهمة. تمتلك جميع الفقاريات، التي تطورت منذ حوالي ٥٣٠ مليون سنة، سقفًا دماغيًا، ومن المحتمل أن تكون عملية التحكم المركزي بالانتباه قد بدأت بعد ذلك.

تمثلت مهمة السقف الدماغي ببناء ما يعرف بالنموذج الداخلي، الذي يعد عملية محاكاة لكل ما يتحكم به الدماغ بغية توقع نتائجه ما يتيح الشروع بعمليتي التوقع والتخطيط. يشتمل النموذج الداخلي على مجموعة من المعلومات المشفرة على شكل نمط معقد من نشاط الخلايا العصبية. تحاكي هذه المعلومات الحالة الحالية للعينين والرأس والأجزاء الرئيسية الأخرى في الجسم، مكونة تنبؤات معينة عن الطريقة التي ستتحرك بها هذه الأعضاء في المرحلة التالية وعن عواقب تلك التحركات.

ظهرت البارزة السهمية (الهايبربااليوم) مع تطور الزواحف منذ ما يقرب ٣٥٠ مليون سنة، ويمكن ملاحظتها اليوم عن عند الطيور التي ورثتها من أسلافها الزواحف، أما عند الإنسان العاقل فقد تطور الهايبربااليوم ليشكل القشرة الدماغية التي تعد التركيب الدماغي الأكبر عنده.

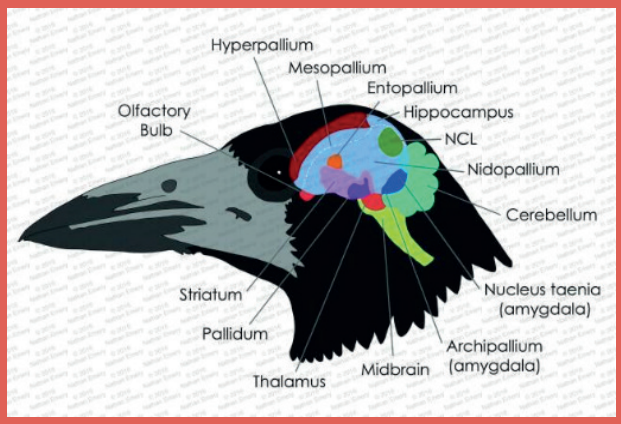

صورة تشريحية لدماغ الطيور، توضح مكان البارزة السهمية (Hyperpallium)

إن أهم ما يميز القشرة الدماغية عن السقف الدماغي هو نوع الانتباه الذي يتحكم به كل منهما، إذ يعد الأخير مسؤولًا عن التحكم بالانتباه الجلي (توجيه الجهاز الحسي لأي منبهات مهمة)، أما القشرة الدماغية فمهمتها رفع مستويات الانتباه الخفي. مثال على ذلك، لا يحتاج الإنسان العاقل للنظر بشكل مباشر إلى حدث ما ليتنبه له «بشكل خفي»، فحتى لو أدار ظهره عنه، ستبقى قشرته الدماغية قادرة على تركيز مواردها لمعالجة المعلومات الواردة من هذا الحدث.

لنفترض أنك تمكنت من ربط دماغ تمساح ما بجهاز يمكنه أن يحول المعلومات الموجودة في نتوئه السهمي لكلام مفهوم، قد يتلفظ التمساح بهذه

الكلمات: «لدي شيء غير محسوس بداخلي، ليس ماديًا، ولا هو رأس ولا عين ولا ذراع، هذا هو الامتلاك العقلي للأشياء عندي، وهو يتحرك من مجموعة أشياء لمجموعة أخرى. وعندما تمسك هذه العملية الغامضة بشيء ما، تتيح لي أن أفهم وأن أتذكر وأن أستجيب».

بلا شك، سيكون هذا التمساح مخطئًا لأن الانتباه الخفي عنده له أساس فيزيائي محسوس على شكل تشابكات وإشارات عصبية. أما دماغه فلا حاجة له بالعلم بهذه التفاصيل، ولذلك يكون مخطط الانتباه مبهمًا. يصور مخطط الانتباه الانتباهَ الخفي بصورة غير مترابطة فيزيائيًا، ويعرفه على أنه وجود بجوهر ذي سمة لافيزيائية، وهو، وفقًا لنظرية مخطط الانتباه، أصل الوعي.

يركز علماء النفس عند دراستهم للمعرفة الاجتماعية على نظرية العقل التي تعني قابلية الشخص لفهم ما يُحتمل وجوده في عقل الآخر. يمكن تطبيق نظرية العقل على الغربان، فعلى سبيل المثال، إذا خبأ غراب ما طعامه في حفرة ما وكان هناك غراب آخر يراقبه، فإنه ينتظر رحيله حتى يعود ليخبئ طعامه في حفرة أخرى، وكأنه قادر على تحليل معرفة الغراب الثاني بمكان التخبئة الأول وعجزه عن معرفة المكان الثاني. في حال تواجدت قابلية عزو الوعي للآخرين عند الثدييات والطيور، فمن المحتمل أن تكون قد انحدرت عن سلفهما المشترك، الزواحف. بدأ الإدراك الاجتماعي بالظهور بشكل واضح، وفق لنظرية مخطط الانتباه، بعد فترة وجيزة من تشكل الهايبربالليوم عند الزواحف.

تشير نتائج التجارب المخبرية التي قام بها العالم مايكل ستيفن أنتوني جرازيانو في مختبره إلى أن الشبكات العصبية في الدماغ البشري، التي تسمح له بعزو الوعي للآخرين، تتداخل بشكل كبير مع الشبكات التي تبني الإحساس بالوعي الذاتي.

أدلة على الوعي عند الحيوانات غير البشرية، رأسيات القدم كمثال:

أثبتت التجارب أن رأسيات القدم (الأخطبوط والحبار والسبيدج وغيرها) تمتلك إدراكًا بصريًا وكيميائيًا عن طريق اللمس. تمتلك هذه الحيوانات القدرة على تحسس الضوء المستقطب، ويمكنها التمييز بين أنماط التباين المختلفة، كما تم الإبلاغ عن اتباعها لسلوك لعب مرتبط بالعواطف الإيجابية، فقد لاحظ مجموعة من العلماء عملوا على مراقبة سلوك مجموعة من الأخطبوطات لعبها بزجاجات بلاستيكية من خلال نفثها بالماء وتكرار نفس السلوك عند إعادة التيار للزجاجات مرة أخرى بهدف التسلية.

يمتلك الحبار القدرة على دمج الخبرات عبر الزمن لتوجيه السلوك، ويمكنه تذكر إجابات أسئلة «ماذا وأين ومتى» المتعلقة بالأحداث الماضية (ذاكرة شبيهة بالعرضية)، ويبحث عن فرائسه بالاعتماد على ما سبق له أن تناوله، وعلى المكان الذي حصل فيه على وجبته السابقة، ومقدار الوقت المنقضي على تناول آخر وجبة، ويربط سلوك البحث عن الطعام برؤية فريسة أو شم رائحتها في مناسبة سابقة. يمكن للحبار أيضًا استخدام توقعاته للمستقبل القريب لتعديل سلوكه، فيأكل كميات أقل من سرطان البحر في حال كانت هناك احتمالية لتناول الجمبري في وقت لاحق.

ما من دليل واضح على امتلاك رأسيات القدم القدرة على إدراك ذواتها، لكن قدراتها المتطورة على التمويه والتشبه بأشياء غير حية، وعلى تقليد الحيوانات والأحياء السامة (بما في ذلك الطحالب) توحي بفهمها للشكل الذي تظهر عليه أجسادها للكائنات الأخرى.

وثيقة «إعلان جامعة كامبريدج حول وعي الحيوانات غير البشرية»

في عام ٢٠١٢، وقع مجموعة من علماء الأعصاب في جامعة كامبريدج وثيقة «إعلان جامعة كامبريدج حول وعي الحيوانات غير البشرية» التي نصت على ما يلي:

«تملك الحيوانات غير البشرية الركائز العصبية الوظيفية والتشريحية والكيميائية التي تولد حالات الوعي، إضافةً إلى قدرتها على إظهار السلوك الواعي، وبناءً على ذلك، تشير معظم الأدلة إلى أن البشر ليسوا متفردين بامتلاكهم الركائز العصبية التي تولد الوعي، فالكائنات غير البشرية من الثدييات والطيور وكائنات أخرى مثل الأخطبوط تملكها أيضًا».

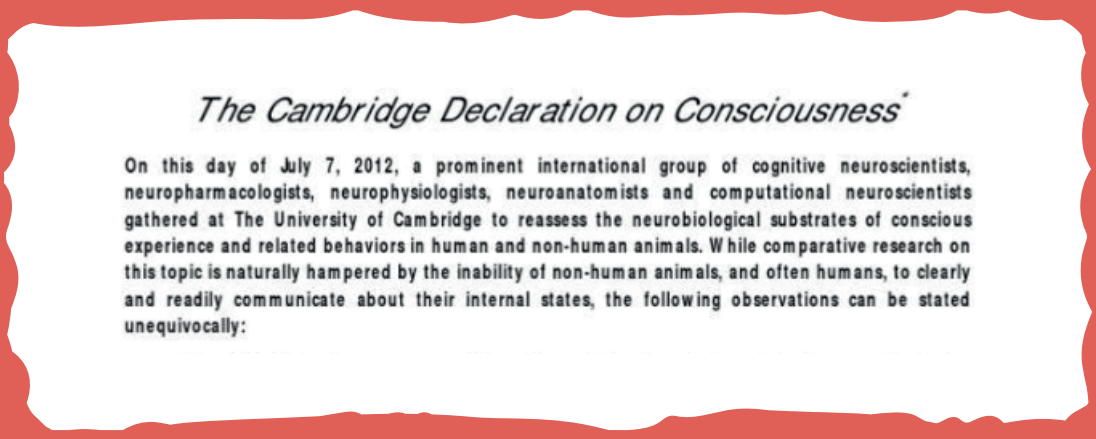

The Cambridge Declaration on Consciousness

On this day of July 7, 2012, a prominent international group of cognitive neuroscientists, neuropharmacologists, neurophysiologists, neuroanatomists and computational neuroscientists gathered at The University of Cambridge to reassess the neurobiological substrates of conscious experience and related behaviors in human and non-human animals. While comparative research on this topic is naturally hampered by the inability of non-human animals, and often humans, to clearly and readily communicate about their internal states, the following observations can be stated unequivocally:

الفقرة الأولى من «إعلان جامعة كامبريدج حول وعي الحيوانات غير البشرية»

تبع هذا الإعلان تعاون بين العديد من علماء الأعصاب والعلماء المتخصصين بعلم الأحياء التطوري وعلماء النفس المقارن والفلاسفة للإجابة عن هذه الأسئلة، وتمخض عن هذا التعاون تأسيس دورية أنيمال ساينس (Animal Science Journal) في عام ٢٠١٦ بهدف دراسة الحياة الداخلية للحيوانات (تجاربهم الشخصية ومشاعرهم) بأساليب علمية صارمة، وبالاعتماد على نماذج الدراسة العلمية للوعي البشري.

يواجه ميدان دراسة الوعي عند الحيوان تحديات منهجية كبيرة لأنه من غير الممكن للكائنات غير البشرية الإبلاغ شفهيًا عن تجاربها. لكن، وبالمقابل، في حال كنت تعتقد بأن عدم وجود بلاغات شفهية يحول دون إجراء أي تحقيقات علمية حول الوعي الحيواني، فيجب أن تكون مقتنعًا بأن ذلك ينطبق أيضًا على الأطفال الرضع وعلى المرضى غير الواعين.

خاتمة

تمكنت الدراسات والتجارب العلمية التي أجراها علماء الأعصاب والأحياء في العقود الأخيرة من التأكيد على قدرة بعض الحيوانات على الاستفادة من الخبرات السابقة للتخطيط للمستقبل القريب، وربط سلوكياتها بتغير عوامل معينة بالبيئة المحيطة بها وغيرها من السلوكيات التي يمكن اعتبارها ناتجة عن وعي الحيوانات بالبيئة المحيطة بها أو حتى بذواتها. لكن تبقى مسألة البت فيما إذا كانت هذه القدرات كافية لتحديد امتلاك الحيوانات لـ «الوعي» تعتمد بشكل أساسي على تعريفه الذي ما يزال موضع جدل بين العلماء والفلاسفة حتى الآن.

طه حسين والتنوير العربي

احتل عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين (١٨٨٩ - ١٩٧٣) مركز الصدارة في العالم العربي في القرن العشرين، فقد كان بحق مالئ الدنيا وشاغل الناس. ويرجع ذلك لأسباب عدة لعل أهمها أنه دمّر حجب الممنوع وأشرف على مساحات في الوعي العربي ظلت من المسلمات أو المسكوت عنها تحت هيمنة السلطتين السياسية والدينية، وهما تسوغان ما يحفظ مصالحهما البحتة، إضافة إلى قدرة لا حدود لها على المواجهة والمناورة بأسلوب ساحر مشوق يجمع بين عمق الفكرة ونصاعة البيان وقدرة على حشد المؤيدين لفكره.

لقد كان العميد لا يهدأ ولا يكلّ حتى ينهض بأمته ورأى أن التعليم هو بداية الطريق نحو التنوير والمشروع النهضوي الذي يقوم بالإنسان من غياهب الجهل والتبعية.

وها هو العميد يسجل بقلمه السلس وأسلوبه الرائع مظاهر الجمود والتخلف في رائعته الأيام والتي تكتسي أهمية عظمى في توثيق الحياة الاجتماعية والسياسية لمصر في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وإذا كان الطهطاوي قد سجل مشاهدات وانطباعات رجل شرقيّ يعيش في باريس في الثلث الأول من القرن التاسع عشر في "تخليص الإبريز في تلخيص باريز"، فسوف يصبح ذلك الكتاب ضياء تنبلج به الأصباح وجسرا للتواصل الحميم بين الشرق والغرب، تماما كما سوف تصبح سيرة طه حسين الذاتية جزءها الثاني.

لا ريب أن عميد الأدب العربي مدين في مشواره العلمي لمبادرة محمد علي باشا ولبعثاته العلمية التي أثمرت في النهاية الجامعة المصرية الحديثة يعلم فيها المستشرقون ولفيف من أبناء مصر الذين تعلموا في أوربا تعليما حديثا كأحمد لطفي السيد مترجم «فن الشعر» لأرسطو إلى اللغة العربية والذي اكتشف مواهب طه حسين وطموحه فيسر له بعد ذلك السفر إلى فرنسا للاستزادة من العلم وتوجت تلك الجهود بشهادة الدكتوراه عن الفلسفة الاجتماعية عند ابن خلدون.

لقد كان طه حسين مدركًا لنشر كتاب عن الشعر الجاهلي في ظل وجود سلطة دينية وصية على النص لها شرعيتها التاريخية في اللاوعي الجمعي المقهور والذي يعني رهابًا وفصامًا وهي يمكنها بجرة قلم تكفير رأي أو إهدار دم ولكن لا مفر من نشر الوعي وبذر بذور الفكر العلمي واحتمال الأذى بصبر وأناة ولقد كانت تجربة مريرة أن يعزل الكاتب من منصبه ويحاصر في بيته ويعير بعاهته ونظرا لقوة التحالف القائم بين السلطتين السياسية والدينية وإدراكهما للخطر المحدق بهما نتيجة

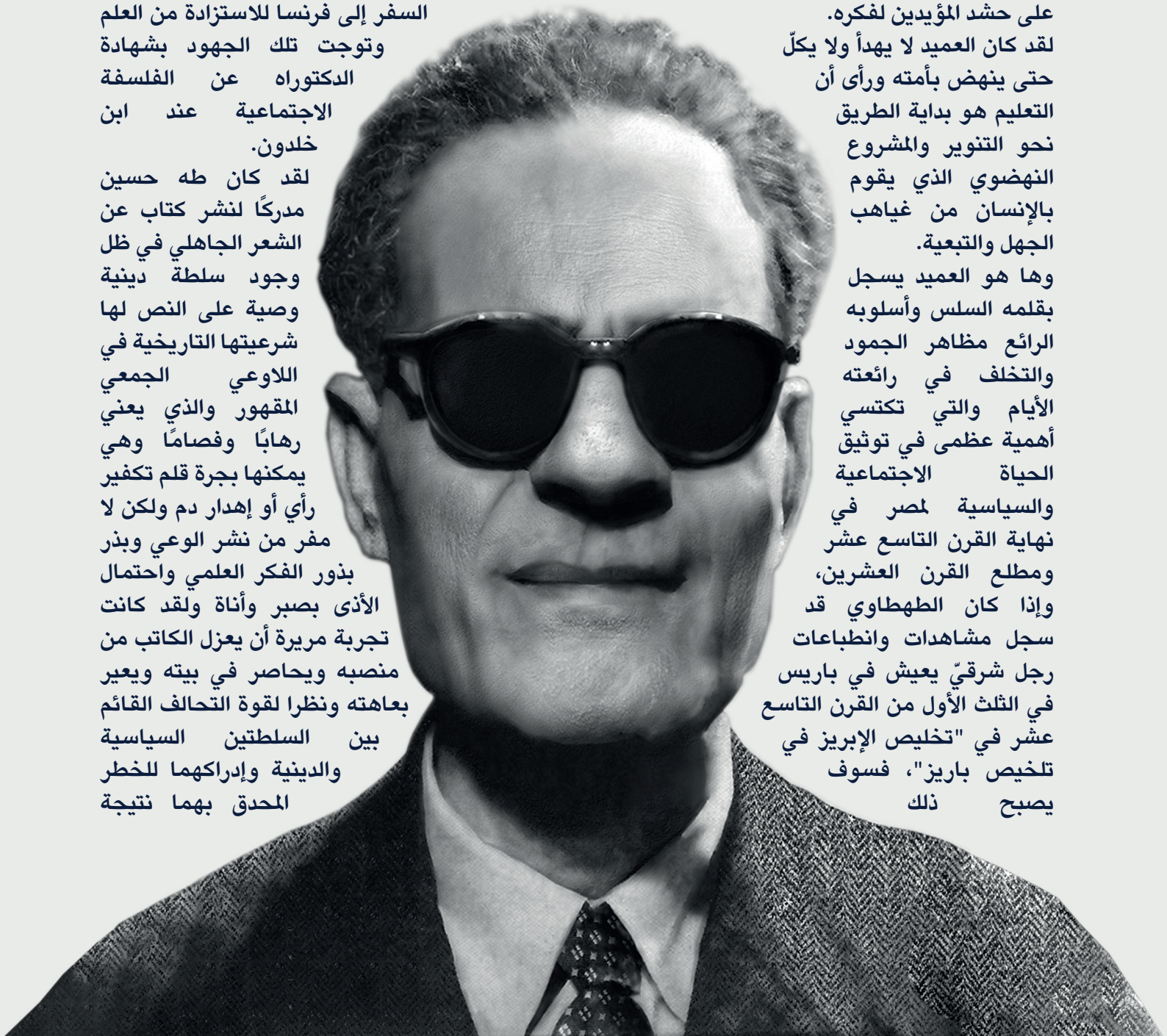

بذر بذور التجديد والتغيير والاختلاف والشك الذي هو طريق إلى اليقين اضطر الكاتب إلى حذف فقرات أسخطت الساخطين عليه وهيجت المتظاهرين ولكن لا تراجع عن الكتاب وعن مبدأ الشك.

ربمّا كان لغياب الفكر التنويري لفترة طويلة أثره الفعّال على مفهوم التنوير ذاته، حيث أصبح مراوغاً وزئبقياً، لا تستطيع معه أن تضع تعريفاً جامعاً مانعاً يمكن الاهتداء به في مواجهة كلّ الدعوات التي تقلل من شأن العقل في مواجهة الأزمات، وتقلل من شأن الاجتهاد حين يكون ضرورياً، ولذلك كان استحضار جواب التنوير عند طه حسين أمراً ضرورياً.

والتنوير لفظ يستدعي فور سماعه العقل والنور؛ يشير الأول إلى الثاني إشارة السبب إلى النتيجة، ويشير الثاني إلى الأول إشارة المعلول المتعدد الأبعاد إلى العلة الواحدة المتجددة. وهذا الترابط بين العقل والنور موجود في اللغة الإنجليزية التي صاغت من دلالة النور Light صيغة الفعل ينير enlighten. ومصدره التنوير، أو الإنارة enlightment. ولا تختلف هذه الدلالة الاشتقاقية في اللغة الفرنسية عنها في اللغة الإنجليزية أو الألمانية أو غيرها من اللغات الأوروبية. ولكنّ اللغة العربية قد سبقت غيرها في استعارة النور للمعرفة، ووصلت بين فعل المعرفة الإنساني ودلالة النور. وهو في السياق الدلالي عند كانط "خروج الإنسان من قصوره الذي اقترفه في حقّ نفسه، وهذا القصور هو عجزه عن استخدام عقله إلا بتوجيه من إنسان آخر. ويجلب الإنسان على نفسه ذنب هذا القصور عندما لا يكون السبب فيه هو الافتقار إلى العقل، بل إلى العزم والشجاعة اللذين يحفزانه على استخدام العقل بغير توجيه من إنسان آخر. لتكن لديك الشجاعة لاستخدام عقلك! ذلك هو شعار التنوير. وعند مراد وهبة: التنوير لا سلطان على العقل إلا العقل نفسه. بينما يرى جابر عصفور أنّ التنوير "هو منح الأولوية للعقل في إدراك الوجود، وإبداع العالم، والنظر إلى العقل البشري بوصفه النور الذي يهتدي به الإنسان، ويصوغ به عالمه، متحرراً من أشكال الوصاية التي تحجر على العقل أو تقيد انطلاقه...، واقتران نور العقل بحرية الإنسان وحقه في اختيار فعله الخلاق وممارسته، في كلّ مجالات الفعل المعرفي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وذلك في مواجهة طوائف أخرى استبدلت بالعقل النقل، وبالحرية العبودية، وبالاختيار الجبر، وبالعدل الظلم، وبالمعنى العقلاني للتوحيد المعنى القمعي المفروض على الجماعة.

وحول هذه المعاني لمفهوم التنوير كان معناه عند طه حسين، فقد كانت حياته من بدايتها إلى نهايتها كفاحاً دائباً في سبيل الحريّة والتحرّر والانطلاق، والقدرة على استخدام العقل بعيداً عن كلّ أشكال الوصاية والتبعية. فقد كان دائماً في سعي حثيث دؤوب للابتعاد عن كلّ ما من شأنه أن يحدّ من الحرية والانطلاق والإبداع، في جميع المجالات الثقافية والفكرية والاجتماعية والسياسية؛ إذ إنّ حرية الفكر والعقل ـ وهما أداتا الإبداع والابتكار ومصدر التنوير- هي الوجه الآخر للحرية السياسية، كما أنّها في الوقت ذاته هي السبيل المُعَبَّد للوصول إلى هذه الحرية السياسية والحفاظ عليها. والكتابة أيّاً كان شكلها وقصدها عند طه حسين هي عملية تنويرية، لأنّها تطرح دائماً سؤال التنوير؛ سؤال الذات والعقل والتاريخ والثقافة والتعليم واللغة والخيال، وهي إذ تطرح فنّ السؤال تخلخل فكرة المعرفة بما هي حد، وتزحزح فكرة الحد بما هو معرفة، فتزعزع الحسّ اللغوي العام الزائف الذي يُدشن جميع صور الحقيقة في الثقافة والمجتمع، ومن ثمّ تخلخل فكرة الواقع بما هو نص، والنص بما هو واقع، فالكتابة مغامرة بانية، وزحزحة أصيلة، وخلخلة مؤسسة مشيدة، والكتابة إذ تطرح أسئلة اللغة والجمال تطرح في الآن نفسه أسئلة الذات والوجود والحريّة والحداثة والحضارة.

ومن ثمّ ينجلي معنى التنوير عند طه حسين في الدعوة إلى العقلانية، وإعمال العقل، والتأكيد على الإبداع الذاتي للعقل في علاقته بالماضي والحاضر، أو في موقفه من ميراث الأنا وإنجاز الآخر. فالتنوير عند طه حسين عبارة عن وعي نقدي يمُكِّن صاحبه من التوفيق بين الوافد من لدن الآخر المتقدّم، وبين الموروث الذي يمثل الهويّة الذاتية. ولذلك لا يمكننا القول إنّ طه حسين نسي الموروث الإسلامي ودوره في بناء الحضارة المنشودة، بل عمل على تعديله ونقده ليتخلص من كلّ الشوائب التي لحقت به فجعلته أقرب إلى الخرافات والأساطير.

فإذا كان التنوير في حاجة إلى العقلانية فهو أيضاً في حاجة إلى الحريّة التي هي أهمّ لزوميات التنوير، ولإحداث التنوير المنشود لا بدّ من إعادة النظر من منظور تنويري إلى موقع الحريّة في بلادنا، وحال التعليم، وواقع الثقافة، والعلاقة بين الدين والعلم، وحقيقة الموقف من مدنية الدولة...إلخ. وهذا ما نلمحه جليّاً عند طه حسين.

اعتبر طه حسين قضية الحريّة مفتاحاً للتنوير، فلا تنوير بلا حريّة، ولا حريّة بلا تنوير، ولذلك كانت الحريّة مسألة أصيلة لديه، ملكت عليه كلّ أموره، ووقف عليها حياته، وصار شغفه بالكتابة مرهوناً بها، فهو القائل: كلّ الناس يعلمون أنّ الأدب لا قيمة له إذا فقد الحريّة، فجاءت كتاباته ممارسة للحريّة، وتعميقاً للواقع بحثاً عن أصوله الدفينة، ورمياً إلى تغييره وتجاوز محنه ومشكلاته، فقد حلم بمجتمع سوي يستردّ وجهه الأصيل ممّن شوّهوه، وينتشل قيمه من مستنقع اللاقيم الذي فرض عليه التردي فيه، مجتمع يحيا فيه ويعمل ويأمل ويبدع إنسان سوي، يجد القدر المعقول من الحريّة والعدل، ويؤمن بقيمة العلم وسيادة القانون ويبتعد تماماً عن الجهل والتخلف والهوان والفوضى. ومن ثمّ نجده في جلّ كتاباته يجعل الحرية هدفه ومقصده، فيقول في مقدمة كتابه القيَّم على هامش السيرة: وأحبّ أن يعلم الناس أيضاً أنّي وسعت على نفسي في القصص، ومنحتها من الحرية في رواية الأخبار، واختراع الحديث ما لم أجد به بأساً، إلا حين تتصل الأحاديث والأخبار بشخص النبي، أو بنحو من أنحاء الدين، فإنّي لم أبح لنفسي في ذلك حرية ولا وسعة، وإنما التزمت ما التزمه المتقدمون من أصحاب السيرة والحديث، ورجال الرواية وعلماء الدين.

وهكذا هو منهجه في الحرية، ليست هي الحرية الفوضوية، ولكنّها الحرية المسؤولة، والحرية المحدودة بحدود قواعد الدين، وما أثبته الثقات من رواة السيرة والحديث، وما ارتضاه علماء الدين الأكفاء. فإذا كانت الحرية لازمة من لوازم الإبداع فإنها تقف عند حدود ولا يجوز لها أن تتخطاها، حيث يقول: فإذا اتصل الخبر بشخص النبي فإنّي أردّه إلى مصدره ليستطيع من شاء أن يرجع إليه، لا أحتمل في ذلك تبعةً خاصة، لأنّي لا أذهب فيه مذهباً خاصاً، إلا أن يكون تبسطاً في الشرح والتفسير واستنباط العبرة والوصول بها إلى قلوب الناس.

”

إذا كنت لا تستطيع

رفع الظلم،

فأخبر عنه الجميع

على الأقل.

“

~ علي شريعتي

نساء كسرن احتكار الرجال لأم العلوم..
الفلسفة

قلما يخطر ببال أحدنا اسمًا أنثويًا عند السؤال عن أشهر الفلاسفة، فعلى مر التاريخ، سيطر الرجال على هذا المجال، وكان تمثيل النساء فيه خجولًا إلى حد بعيد. مع ذلك، هناك العديد من النساء اللاتي شاركن في الخطاب الفلسفي منذ الحضارة اليونانية، ووضعنَ أفكاراً في الأخلاق والمجتمع والسياسة والحب، وقدمن مساهمات مهمة في الفلسفة أثر بعضها، بشكل أو بآخر، على حياتنا اليوم.

مؤخرًا، بدأ الوعي العام حول إسهامات فيلسوفات نساء بتاريخ الفلسفة بالتزايد، إلا أن الاهتمام الذي توليه مختلف المجتمعات لهنّ لا يزال بحدوده الدنيا، ولا يتم عادة إعطاء مساهماتهن في هذا المجال القدر الكافي من التقدير.

لم يكن من المسموح للنساء التخصص بالفلسفة في أي جامعة من جامعات العالم. مع بداية القرن التاسع عشر كسرت بعض الكليات والجامعات في الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة هذه القاعدة، وبدأت بقبول النساء في مقاعدها، لكنّ عدد النساء اللاتي اخترن اختصاص الفلسفة بقي محدودًا. يرجع بعض المختصين السبب في ابتعاد النساء بشكل عام عن الفلسفة إلى تعرضهم للتمييز وعدم امتلاكهن الفرصة للتعبير عن أنفسهن وعن أفكارهن إضافة إلى معاناتهن من الأفكار القبلية.
كسرت العديد من النساء قاعدة احتكار الذكور للفلسفة، وتمكّن من وضع تحدي ظروفهنّ وترك بصمتهنّ الخاصة في هذا المجال، وسنأتي في هذا المقال على التعريف بمجموعة من أشهر الفيلسوفات، من زمن أرسطو وأفلاطون وحتى يومنا هذا.

فيلسوفات الحضارة اليونانية

ثيانو

عاشت ثيانو في القرن السادس قبل الميلاد، وتزوجت الفيلسوف وعالم الرياضيات الشهير، فيثاغورس، وكانت تنتمي لعائلة أرستقراطية يونانية، كما تعد من أتباع المدرسة الفيثاغورية في الفلسفة. لم تذكر كتب التاريخ الكثير عن ثيانو لأن الفلاسفةً اللاحقين، من أمثال أرسطو وأفلاطون، لم يقتبسوا منها. عُرف عن ثيانو اهتمامها بفلسفة الأخلاق وبالعلاقات بين الرجل والمرأة، وناقشت أفكار الوجود والخلود، ودرست أفكار فيثاغورس وعملت على تطويرها. آمنت ثيانو أن الخلود أصل من أصول الكون، فقالت:
«الأخلاق ترتبط بنظام الكون والوجود، وما لم تكن الروح خالدة، فإن الحياة سوف تصبح مجرد وليمة لمرتكبي الشر... ولأن الكون منظم، فإن الشر هو إفساد لنظام الكون، ولو أن الروح تفنى، فهذا يعني أن الأشرار يعيشون حياةً مجانية ولا يعاقبون على فظائعهم».

أسبازيا

وصلت أسبازيا إلى أثينا عام ٤٥٠ قبل الميلاد وافتتحت فيها مدرسة لتعليم البلاغة و الفلسفة وشجعت النساء على الخروج من بيوتهن والمشاركة في الحياة العملية، وكانت تلقي محاضرات في هذا المجال في صالونها الفكري، وكان سقراط وبركليز من رواد هذه المحاضرات. أعجب سقراط بفصاحتها ووصفها بأنها «معلمة ممتازة». ينسب البعض الخطبة الجنائزية التي ألقاها بركليز بعد الحرب البيلوبونيسية لها. ندد المحافظون في المجتمع الأثيني بأفكار أسبازيا ووصفوها بأنها غانية لخروجها على الدين، وقُدمت للمحكمة التي أصدرت حكمًا ببراءتها. خُلدت أسبازيا في الوثائق

التاريخية، إذ ذكرها ول ديورانت في كتابه «قصة الحضارة»، وذكرتها ماري ألين ويت في كتابها «تاريخ النساء الفلاسفة في العصرين اليوناني والروماني». كما ظهرت في العديد من اللوحات الزيتية إلى جانب سقراط وفيدياس وآخرين.

تدعي بعض الأبحاث أن أفكار أسبازيا حول الحب والسمو الأخلاقي ألهمت سقراط لصياغة الجوانب الرئيسية من أفكاره التي نقلت عن أفلاطون، ووفقًا لهذه الفرضية، تكون أسبازيا واحدة من أهم واضعي أسس تقاليد الفلسفة الأوروبية.

لوحة زيتية لأسبازيا وسقراط بريشة الفنان نيكلاوس مينايسو في القرن التاسع عشر.

فيلسوفات من الصين

أشادت النصوص الكونفوشية بفكر وحكمة جينغ جانيغ واقتبس كتاب خطابات الولايات مقولات من جانيغ من بينها «عندما يكدح الناس يفكرون، وعندما يفكرون، تولد عقولهم الجيدة». كانت جانيغ واحدة من أهم الأمثلة التي اعتاد كونفوشيوس على ذكرها لطلابه عند حديثه عن المرأة النموذجية التي يجب عليهم أن يسترشدوا بها.

ساهمت العالمة والفيلسوفة الصينية بان تشاو التي عاشت في القرنين الأول والثاني قبل الميلاد في تأليف كتاب هان الذي يصف تاريخ الصين والذي يعد أحد أبرز الدراسات حول تاريخ الصين، ويحتوي على مقالات مطولة حول الجغرافيا والأدب والمال. ألفت تشاو أيضًا كتاب «دروس للمرأة» الذي تطرقت فيه إلى الكلاسيكيات الفلسفية، وطالبت فيه بالمساواة بين الجنسين.

فيلسوفات من الهند

أطلقت الفيلسوفة الهندية مايتريا، في القرن الثامن قبل الميلاد، نقاشًا حول أهمية المعرفة للإنسان، فتساءلت: «هل من الممكن أن أصبح خالدة إذا ما امتلكت العالم كله بما فيه من ثروات؟ ما مغزى الحصول على شيء لن يجعلني خالدة؟»، وضعت بذلك حجر الأساس في التحقيق الفلسفي للعلاقة التي تربط المعرفة بالمادة.

واجهت الفيلسوفة الهندية، سولابها، أعظم الفلاسفة الهنود الذكور، جاناكا، في القرن الرابع قبل الميلاد، في ملحمة ماهباهارتا، وتمكنت من إثبات وجهة نظرها حول قدرات النساء الفكرية، فقالت له: «جسدي نختلف عن جسدك، إلا أن روحي وروحك متماثلتان».

ذكر شانكارا، أحد الفلاسفة الأكثر شهرة في الهند، في سيرته الذاتية الخاصة، خوضه لمناظرة فلسفية مطولة مع الفيلسوفة أوبهايا بهاراتي استمرت لسبعة عشر يومًا، تطرقا فيها لمواضيع مختلفة منها الحب والمذاهب الفلسفية والكاماسوترا الكتاب الهندوسي المقدس. تمكن شانكارا من الانتصار في المناظرة بعد أن طلب استراحة مدتها شهر لتقصي مجموعة من الحقائق. أقرت بهاراتي في نهاية المطاف بانتصار شانكارا وقالت:

«واجهت كل المتاعب لتذليل علم الجنس حتى يتوافق مع أنماط العالم. لا يعني تمكنك من هزيمتنا في المناظرة أن نشعر بالعار، فلا تسوء سمعة النجوم عندما يحجبها نور الشمس». ويقال بأن بهاراتي أسست مدرسة فكرية خاصة بها بعد المناظرة التي جمعتها بشانكارا.

نادت المفكرة أكا مهاديف التي عاشت في القرن الأول قبل الميلاد بمساواة الرجل بالمرأة، ورفضت جميع صور التمييز بين البشر، سواء كانت مرتبطة بالجنس أو اللغة أو الطبقة الاجتماعية. عاشت مهاديف حياتها مؤمنة بكونها امرأة مستقلة ومكتفية ذاتيًا، واختارت طريقها الخاص للتفاني للآلهة الهندية «شيفا» بدلًا من اتباع معايير المجتمع أو العائلة أو حتى الكتاب المقدس، واشتهرت بقولها: «كل الفيدا والكتاب المقدس والتقاليد المقدسة والشرائع والرموز ليست سوى قشور و حنطة وُضعت في طاحونة». في أولى سنوات شبابها، تزوجت مهاديف الملك كوشيكا بعد أن اشترطت عليه أن يخصص لها غرفة نوم تقضي بها لوحدها ما تشاء من الوقت. أخلف كوشيكا بوعده فما كان من مهاديف إلا أن تعرّت بالكامل وجالت الطرقات

مصر الرومانية

هيباتيا

عاشت هيباتيا في مصر الرومانية في القرنين الرابع والخامس، واشتهرت في التاريخ بصفتها عالمة رياضيات لكنّ اسمها لمع أيضًا في تدريس الفلسفة وعلم الفلك. اتبعت هيباتيا المدرسة الأفلاطونية المحدثة للفلسفة القديمة واتبعت المنهج الرياضي لأكاديمية أفلاطون في أثينا وتأثرت بفكر أفلوطين الذي عاش في القرن الثالث الميلادي والذي فضل الدراسات المنطقية و الرياضياتية على المعرفة التجريبية. قُتلت هيباتيا على يد حشد من المسيحيين المتعصبين بعد اتهامها بممارسة السحر والإلحاد، وتسبب مقتلها باشتعال موجة من الاضطرابات الدينية.

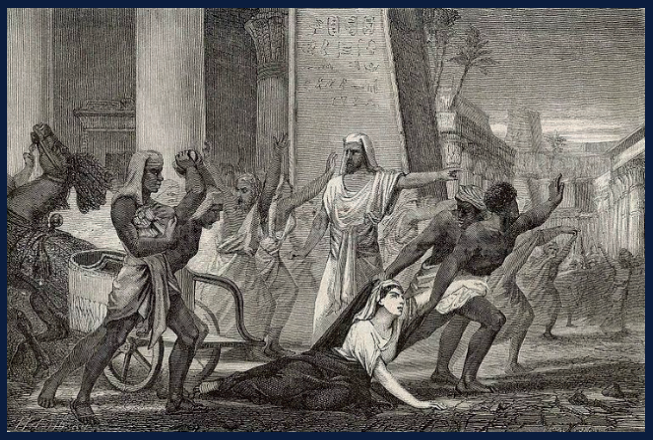

رسم للحظة مقتل هيابتيا في الاسكندرية بريشة الفنان لويس فغويه (١٨٦٦)

فيلسوفات معاصرات

كتبت الفيلسوفة حنا أردندت الألمانية (١٩٠٦-١٩٧٥) عن الشمولية، وحللت في رائعتها «أسس التوتاليتارية» كيفية وصول الحكومات الشمولية إلى السلطة. كتبت أردندت أيضًا عن مواضيع سياسية أخرى كالثورة الأمريكية والفرنسية. وقدّمت نقدًا لفكرة حقوق الإنسان.

عملت الفيلسوفة الإنجليزية فيليبا فوت (١٩٢٠ -٢٠١٠) جامعة أوكسفورد، ويعود لها الفضل في إحياء الفكر الأرسطي، وهي أول من وضع مسألة العربة. عملت فوت مع العديد من الفلاسفة خلال حياتها، وأثرت بالعديد منهم. تعد مجموعة مقالات «Virtues and Vices» التي ألفتها فوت من أهم المقالات التي تطرقت لفلسفة أخلاق الفضيلة.

كانت جروترود إليزابيث مارغريت أنسكومب (١٩١٩ -٢٠٠١) فيلسوفة بريطانية درّست في جامعة أوكسفورد، وتركزت إسهاماتها الفكرية على المنطق وفلسفة الأخلاق والعقل واللغة وجرائم الحرب. ألفت كتاب «Intention» الذي درس تأثير النوايا على المكانة الأخلاقية للبشر، وكانت أول من استخدم مصطلح عواقبية (Consequentialism) في كتابها «Modern Moral Philosophy».

كانت آن دوفورمانتيل (١٩٦٤-٢٠١٧) فيلسوفة فرنسية متخصصة بالتحليل النفسي، و«المخاطرة». ألفت ٣٠ كتابًا وألقت العديد من المحاضرات المؤثرة في الفلسفة.

كتبت كاثرين جينز (١٩٧٨) عن فلسفة حنة أرندت وعن فلسفة الأفريكانا والنسوية السوداء والظواهرية.

كانت المرأة على مر التاريخ عرضة للتهميش والتعنيف والتمييز والاضطهاد ومحاولات الإبعاد عن المشاركة في بناء المجتمع، وحاربت من أجل حريتها وتحقيق المساواة مع الرجل وإثبات وجودها في المجتمع، ولا تزال النساء تعاني من قوانين ظالمة في القرن الحادي والعشرين حتى في أكثر دول العالم تحضرًا. منعت هذه الظروف النساء من تحقيق التفوق في عدة مجالات، أهمها الفلسفة. إلا أن العديد منهن تمكن من وضع نظريات وأفكار في الأخلاق والمجتمع والحب والسياسة، وغيرها من المواضيع الفلسفية، ظلت راسخة لقرون عديدة.

الجاحظ
العالم العربي الذي تكلم عن التطور قبل داروين بألف عام

في صيف عام ١٨٣٧، رسم تشارلز داروين رسمًا تخطيطيًا أوليًا في دفتر ملاحظاته، خطوط من الحبر تشعبت من خطوط أخرى. سيأتي رسم الشعار المبتكر هذا الذي يشبه الشجرة ليمثل نظريته في التطور عن طريق الانتقاء الطبيعي ، وهي طريقة لتصور كيفية تكيف النباتات والحيوانات استجابةً لبيئاتهم. في أعلى الصفحة كتب داروين عبارة «أعتقد».

في الآونة الأخيرة، غرد الأستاذ في جامعة نيويورك جيمس هيغام حول كيفية تحديثه لمحاضرات فصله حول البيئة السلوكية للرئيسيات، الموجهة للطلاب الجامعيين من المستوى الأعلى. كتب هيغام أنهم الآن يعترفون بشكل صحيح بالعلوم الإسلامية في هذا المجال خاصةً تلك التي كتبها بالجاحظ (٧٨١ - ٨٦٩ م).

يبدو واضحًا أن شيئًا مثل التطور عن طريق الانتقاء الطبيعي قد اقتُرح قبل داروين/والاس بألف عام. (اقترح عالم الطبيعة ألفريد راسل والاس بشكل مستقل نظرية التطور عن طريق الانتقاء الطبيعي في نفس الوقت تقريبًا مع داروين).

قال هيغام إنه لم يتعلم عن الجاحظ في دراسته؛ كان يعرف الجاحظ بشكل غامض كعالم لاهوت وكاتب وعالم، لكنه ليس عالم أحياء.

ولد الجاحظ عام ٧٧٦ ميلادية في البصرة، جنوبي العراق، في الوقت الذي زاد فيه نفوذ المعتزلة، الذين كانوا ينادون بإعمال العقل وتشجيع الفكر الإنساني.

أشارت تغريدته إلى رسم بياني لثمانية علماء مسلمين ما قبل داروين كتبوا عن الأفكار التطورية، من قصة غير مروية في علم الأحياء: الاستمرارية التاريخية للأفكار التطورية لعلماء المسلمين من القرن الثامن إلى عصر داروين، ورقة بحثية عام ٢٠١٧ كتبها مؤلف كبير هو روي ديوغو، أستاذ مساعد في جامعة هوارد. يخطط هيغام لتضمين الجاحظ وغيره من علماء ما قبل داروين في صفه التقديمي الكبير عن الأصول البشرية أيضًا. ردَّ أكاديميون آخرون على تغريدة هيغام قائلين إنهم يتخذون إجراءات مماثلة. مثل آندي هيغينسون، عالم البيئة والمحاضر الأول في جامعة إكستر.

قال سلمان حميد، مدير مركز دراسة العلوم في المجتمعات الإسلامية في كلية هامبشاير في أمهيرست بولاية ماساتشوستس، إنه لا يوجد دليل على أن داروين كان على علم بعلماء إسلاميين من القرن التاسع أو العاشر، لكن الغرض من

تضمين ذكر الماضي لا يعني العلماء أن داروين نسخها أو استمد منها أو يقلل بأي شكل من الأشكال إرثه.

في ورقة روي ديوغو لعام ٢٠١٧ ، قدم ديوغو وزملاؤه أعمالًا لعلماء مسلمين آخرين، مثل الجاحظ. الجاحظ عالم حيوان مسلم من القرن الثامن عشر من العراق معروف بكتاب الحيوان، وهو كتاب من سبعة مجلدات يعتمد على ملاحظته المكثفة للكائنات الحية المختلفة. من سنواته العديدة في دراسة الحيوانات وخصائصها، اعتقد الجاحظ أن الظروف البيئية كانت عاملاً دافعًا في اختلاف الكائنات عن بعضها البعض، حيث طورت سمات جديدة للبقاء في بيئاتها. كما اعتقد الجاحظ أن الحيوانات تطورت بعون الله، وأن الله أراد أن يحافظ على الطبيعة.

وصف الجاحظ عملية الانتقاء الطبيعي الناتجة عن رغبة الحيوان الفطرية في العيش، مشيرًا إلى أن اللياقة البيولوجية ضرورية لهذه الظاهرة، وفقًا لورقة عام ٢٠١٧. لاحظ أن الأفراد من نفس النوع يكافحون ضد بعضهم البعض وأن الأنواع الأقوى والأكثر تكيفًا تسود مع معدلات وفيات أقل.

لم يكن الجاحظ العمل الوحيد الذي اكتشفه ديوغو وزملاؤه قبل داروين:

كان أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، الذي عاش قبل داروين ٨٠٠ عام، يعتقد أن الإنسان هجر ممالك المعادن والنباتات والحيوانات من أجل الوصول إلى الكمال وبالتالي يحتوي في ذاته على طبيعة المخلوقات من العوالم الأخرى.

وكتب الجاحظ أن الحيوانات تخوض صراعا من أجل الوجود والموارد لتجنب أكلها والتكاثر. وتابع، العوامل البيئية تؤثر على الكائنات الحية لتطوير خصائص جديدة لضمان البقاء، وبالتالي تحويلها إلى أنواع جديدة. يمكن للحيوانات التي تعيش لتتكاثر أن تنقل خصائصها الناجحة إلى نسلها.

كان من الواضح له أن هناك دائمًا نوعًا واحدًا أقوى من الآخر، وأنه من أجل البقاء، يجب على الأنواع تطوير خصائص جديدة. ساعدت هذه الخصائص الجديدة الأنواع على التكيف مع الظروف البيئية وخلق أنواع جديدة.

كان الجاحظ أول عالم أحياء مسلم يطور نظرية عن التطور. في الواقع، كتب عن تأثيرات البيئة على فرص بقاء الحيوان على قيد الحياة، حيث لاحظ ووصف بعناية الصراع الواضح من أجل الوجود بين جميع الأنواع. ومن المثير للاهتمام أنه ربط بين استهلاك الغذاء والبيئة، مؤكدًا أن هذه الأخيرة أوجدت، أو ربما، ساهمت في الخصائص الفيزيائية لجميع النباتات والحيوانات. قبل وقت طويل من طرح داروين نظرياته الخاصة، لاحظ الجاحظ كيف كانت البيئة مسؤولة عن ألوان بشرة الإنسان المختلفة. كان كتابه "كتاب الحيوان" موسوعة لما لا يقل عن ٣٥٠ نوعاً من الحيوانات ، وعلى الرغم من أنه نادراً ما يُقرأ في الوقت الحاضر ، فقد اشتمل على مفاهيم نقدية كانت تنفرد بها البصراوي. قلة هم الذين يستطيعون إنكار عمله القيِّم على الانتقاء الطبيعي قبل وقت طويل من أصل الأنواع لداروين: اكتشف الجاحظ فكرة التطور البيولوجي، وأتقنها داروين.

الجاحظ، على الرغم من اعتقاده أن إرادة الله كانت تلعب دورًا على مستوى أعلى، إلا أنه في النهاية يلاحظ أنماطًا في العالم الطبيعي من حوله، ويخرج بفرضيات لتفسيرها. تنظر إلى العالم وترى، تبدو بعض الأشياء متشابهة. لماذا هم متشابهون؟ ربما يكون ذلك بسبب البيئة التي يعيشون فيها. أعتقد أن هذه طريقة علمية في التفكير.

في عام ٢٠١٥ ، في مجلة نيتشر، كتبت الأستاذة في إحدى الجامعات الأردنية، رنا الدجاني، افتتاحية حول تدريس التطور للطلاب المسلمين. تدرس عن العلماء المسلمين الذين دعموا التطور، وأشير إلى أن الجدل الواضح حول التطور والإسلام لم ينشأ إلا في القرن العشرين ، عندما ارتبطت أفكار داروين بالاستعمار، والإمبريالية، والغرب، والإلحاد، والمادية، والعنصرية. عندما يُضمن هذا النسب من الفكر التطوري، يمكن لطلابها أن يروا كيف أن ثقافتهم جزء من الاستجواب في أصل الحياة.

لا ينبغي أن نفترض أن جميع المسلمين لديهم نفس المعتقدات حول التطور. لا يمكننا معاملة المسلمين على أنهم كيان واحد. إذا سألني أحدهم، لأني أعمل في هذا المجال، ما رأي المسلمين في التطور؟ جوابي على ذلك هو، لا أعرف. يعتمد الأمر على من تتحدث إليه.

داروين هو بالتأكيد أحد المساهمين الكبار في العلم، ربما يكون أحد الأعظم. لا أعتقد أنه لا يوجد شك في ذلك، لكن هذا لا يعني أننا نقول إنه لم يكن هناك أحد قبله.

”

إن الموت ليس هو الخسارة
الكبرى، الخسارة الأكبر هو
ما يموت فينا ونحن أحياء

“

~ محمد الماغوط

العصر الذهبي العربي.. هل بإمكاننا استعادته؟

عاش العرب في عهد الدولة العباسية عصورًا ذهبية ازدهرت فيها التجارة والزراعة والفنون والعلوم والفلك والطب وانتشرت فيها المكتبات والمجلدات وذاع سيط العديد من المفكرين والأدباء والفلاسفة المرموقين الذين أثروا بتاريخ الحضارة البشرية، والذين لا تزال أسماؤهم تتردد خلال محاضرات أهم الفلاسفة والمفكرين في أرقى الجامعات حول العالم حتى يومنا هذا، ولا يزال يضرب المثل بحالة الرفاه التي عاشها العرب والمسلمون في ظل الدولة العباسية حتى اليوم. كان انهيار الدولة العباسية مع الغزو المغولي للعراق وحصار بغداد وحرق أهم الكتب وإنتاجات المفكرين والفلاسفة السبب الأساسي لانتهاء العصر الذهبي الإسلامي، فيما يربط بعض المؤرخين تراجع العصر الذهبي بالنهضة التيمورية وانطلاق عصر إمبراطوريات البارود.

انتهى العصر الإسلامي الذهبي، وانتهت معه السمعة الحسنة للعرب والمسلمين التي كانت مضربًا للمثل في جميع أصقاع المعمورة، وبدأت بعدها العصور الوسطى العربية التي لم تشهد نهايتها حتى يومنا هذا. لا تزال أعين المجتمعات العربية تشخص نحو التاريخ الذهبي لأمتها، ولا يزال الكثيرون من العرب يتحسرون على الماضي، ويتأملون عودته. فهل آمالهم قابلة للتحقق؟ وهل من الممكن لنا أن نشهد بزوغ عصر ذهبي ثانٍ؟

ملامح العصر الذهبي للإسلام

ازدهرت من القرن الثامن وحتى القرن الثالث عشر العلوم والتنمية الاقتصادية والأعمال الثقافية في ظل الخلافة الإسلامية بدءًا من عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد مع افتتاح بيت الحكمة في بغداد، وتكليف العلماء بترجمة كل أنواع العلوم إلى اللغة العربية. اهتمت الدولة الإسلامية في فترة الخلافة العباسية بالعلوم والفنون والعمارة والمدنية، وكانت الحرية الفكرية مقبولة إلى حد بعيد ضمن ضوابط معينة، فيما كانت الفلسفة خاضعة للقواعد الأصولية. توصف الحضارة الإسلامية في العصر العباسي بأنها حضارة عربية إسلامية لأنها قامت على اللغة العربية والدين الإسلامي، وبدأت النهضة العلمية في الحضارة الإسلامية من خلال نقل العلوم القديمة المكتوبة باللغات الأجنبية وترجمتها للغة العربية.

قدم الفنانون والمهندسون والعلماء والشعراء والتجار والعلماء والفلاسفة في العالم الإسلامي إسهامات في مختلف المجالات بقيت خالدة حتى يومنا هذا، وأصبح العالم الإسلامي في تلك الفترة مركزًا فكريًا مهمًا للعلم والطب والتعليم والفلسفة. كانت عواصم السلالات الإسلامية المتنافسة (الفاطميين في مصر والأمويين في الأندلس) مراكز فكرية رئيسية تنافس بغداد، وكانت الإمبراطورية الإسلامية الأولى بمثابة حضارة عالمية. كان الورق في تلك الحقبة التاريخية هو رائد الابتكار، إذ أخذ العرب اختراع الورق من الصينيين في معركة تالاس عام ٧٥١، وحسنوا على صناعته. انتشر استخدام الورق من الصين للمناطق الإسلامية في القرن الثامن وانتقل منها إلى الأندلس في القرن العاشر. تميز الورق بأن تصنيعه كان أسهل من المخطوطات، وأقل عرضة للتشقق من ورق البردي، ويمكن له أن يمتص الحبر، ما جعله مثاليًا لحفظ السجلات. ابتكر صانعو الورق الإسلاميون أساليب خط التجميع لنسخ المخطوطات يدويًا لإنتاج طبعات أكبر بكثير من أي طبعات متوفرة في أوروبا لعدة قرون. من هذه البلدان تعلم بقية العالم صناعة الورق من الكتان. في عام ٩٠٠ ميلادية، بدأت مئات من المحلات التجارية بتوظيف الكَتَبة، وعملت على تجليد الكتب في بغداد في المكتبات العامة التي أصبحت المنشأة الأولى، ومن هنا بدأ انتشار صناعة الورق غربا إلى المغرب ثم إلى إسبانيا ومنها إلى أوروبا في القرن الثالث عشر.

عوامل انطلاق العصر الذهبي للإسلام

يعد عصر الخلافة العباسية أكثر مراحل الخلافة الإسلامية التي ازدهرت فيها الصحوة العلمية، وبدأت فيه حركات ترجمة التراث العلمي للإغريق والهنود والفرس، بما في ذلك علوم الفلك والرياضيات والطب والفلسفة والكيمياء والأدب وغيرها من العلوم.

تركزت الحضارة الإسلامية على الحضارات الأخرى القديمة لتنهل من معارفها وتستفيد من خبراتها من خلال الترجمة، ويوجد عشرات، بل مئات الأمثلة على ترجمة مؤلفات مهمة لأعظم المفكرين والفلاسفة القدماء. كان الأمير العباسي خالد بن يزيد من بين أوائل الأمراء المسلمين الذين أمروا بنقل العلوم الإغريقية والسريانية إلى اللغة العربية. تحدث المؤرخ ابن النديم في كتاب «الفهرست» عن خالد بن يزيد، فقال: «وعندما خطر ببال خالد الصنعة، أمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي، وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة».

روي أن الخليفة المأمون كان يدفع مكافأة المترجم وزن الكتاب الذي يترجمه إلى العربية ذهباً ما أدى إلى وجود أكداس من الكتب جذبت انتباه الأجيال اللاحقة وحازت احترامهم من مسلمين وغير مسلمين وافتتحت في عهد العباسيين مئات المكتبات العامة والخاصة، الأمر الذي أمد القراء بآلاف الكتب.

أُضفي الطابع الديمقراطي على المعلومات التي تناولها المفكرون في كتبهن في العصر الذهبي للإسلام لدرجة أنّه، ولربما لأول مرة في التاريخ، أصبح من الممكن كسب العيش من كتابة الكتب وبيعها فقط. أُنشئت في عصر هارون الرشيد دار علمية وأكاديمية تحت اسم بيت الحكمة، وازدهرت في عصر الخليفة المأمون، وكان مكانها قصر الخلافة في بغداد، وجمع فيها العلماء، من المسلمين وغير المسلمين، فيها مجموعة من الكتب اليونانية في العلم والفلسفة وترجموها إلى اللغة العربية ومن ثم إلى اللغات التركية والفارسية واللاتينية والعبرية، وظل بيت الحكمة موجودًا كجزء من حركة الترجمة الكبرى التي ظهرت خلال العصر العباسي. تقدر بعض الأبحاث اليوم الأموال التي أنفقت على حركة الترجمة ما يعادل ضعف ميزانية البحث السنوية لمجلس البحوث الطبية في المملكة المتحدة.

أدت ترجمة النصوص الفلسفية من العربية إلى اللاتينية في أوروبا الغربية إلى إحداث تحول محوري في جميع التخصصات الفلسفية تقريبًا في العالم اللاتيني في العصور الوسطى: «كان تأثير الفلاسفة الإسلاميين في أوروبا قويًا جدًا وخاصة في الفلسفة الطبيعية وعلم النفس والميتافيزيقيا، وكان له أثر كبير أيضًا في مجالات دراسة علمي المنطق والأخلاق».

قبل إنشاء المدارس النظامية كانت قصور الخلفاء ومنازل العلماء ودور الكتب والمساجد بمثابة جامعات ومؤسسات تعليمية يحج إليها الطلاب من كل مكان. بدأ التدريس أول الأمر في العالم الإسلامي في المساجد والجوامع، كما كان يجري أحيانًا في بيوت المدرسين الخاصة، ثم تطورت منظومة التعليم وصار لها دور علم خاصة يؤسسها الخلفاء والولاة، وكانت هذه الدور بالأساس دور كتب، ولكن وجد فيها أيضًا مدرسون وعلماء بالإضافة للتراجمة والنساخين والمجلدين. وكانت الشهادة أو الإجازة يمنحها الأستاذ للتلميذ بعد أن يفرغ الطالب من دراسة كتاب أو موضوع يجيز له تدريسه، ويشرف على إدارة البيت صاحبها ويتولى إدارة شؤونها، ويعاونه المشرف أو المعاون والمسجل أو الكاتب وأمين المكتبة الذي يتولى شؤون خزائن الكتب. كان يتردد على بيت الحكمة عدد من العلماء الكبار أمثال محمد بن موسى الخوارزمي ويحيى بن أبي منصور الفارسي والبلاذري وغيرهم. كان لبيت الحكمة فضل كبير في تطور الطريقة الحوارية التي ينسبها المحدثون إلى الفيلسوف اليوناني سقراط، فطوروها وطبّعوها بطابع إسلامي، وبنوا عليها طريقة المناظرة التي أصبحت أحد ميزات التربية الإسلامية، وكان لاشتداد حركة الاعتزال في عصر المأمون أثر كبير في تطور طرق الحوار والمناظرات.

يمكن اعتبار الفلسفة الإسهام الأكبر الذي قدمه المسلمون في العصر الذهبي للدولة الإسلامية ونقلوه للغرب، إذ استعادوا الفكر اليوناني وفسروه باللغة العربية، كما طوروا الفلسفة اليونانية إلى السكولاستية. بدأت عمليات تعريب وتطوير الفلسفة اليونانية في القرن التاسع في عاصمة الدولة العباسية، بغداد، مع ترجمة أهم الأعمال اليونانية، بما في ذلك أعمال أرسطو، للغة العربية، ومحاولات المفكرين المسلمين لصياغة الطروحات الدينية من منظور فلسفي. كان الفلاسفة يتناولون مواضيع هامة كالدين والجنس والموت بطريقة منطقية وكانوا يتجادلون حولها بكل أريحية دون تعرضهم لضغوط من طرف السلطة العامة. مع ذلك، تعرض بضعة مفكرين لبعض المعارضة من قبل حراس المقدسات، إلا أن تأثيرهم لم يتعد بعض الانتقادات التي لم تؤثر على العامة مثلما هو الحال اليوم، وكان للمفكرين دورًا رياديًا في قيادة الأمة بغض النظر عن فكرهم أو دينهم أو حتى إلحادهم.

هل من الممكن استعادة العصر الذهبي للإسلام؟

إن المعادلة التي تصف تحقيق النمو الاقتصادي والفكري والثقافي في البلاد الإسلامية والعربية، وبالتالي الانتقال إلى عصر ذهبي إسلامي ثان، ليست بالصعبة، فتحفيز المعلمين ومكافأة المفكرين والاهتمام بالمدارس والجامعات ومراكز الأبحاث، وتدريس أسس الفلسفة والنقد، وترجمة الأبحاث العالمية والانفتاح على الآخر ورصد إنجازاته والتعلم منها وإعطاء الحرية للمفكرين والفلاسفة وإعطاء المرأة الحق بمشاركة الرجل في مختلف مناحي الحياة، لا بد لها أن تنتج في نهاية المطاف عصرًا ذهبيًا، لكن أغلب البلدان العربية والإسلامية اليوم منشغلة بالخلافات والانقسامات والحروب، وهي بعيدة كل البعد عن خطو الخطوات الأولى في طريق استعادة أمجادها الماضية.

هل نعيش في عصر ما بعد الحقيقة

ما المقصود بالضبط بمصطلح ما بعد الحقيقة؟ من المفارقات، أن مصطلح ما بعد الحقيقة هو من بين أكثر الكلمات التي جرى الحديث عنها والأقل وضوحًا في عصرنا. يستشهد معظم المراقبين في العالم الناطق باللغة الإنجليزية بكلمة العام ٢٠١٦ بإدخال قواميس أكسفورد الإنجليزية: ما بعد الحقيقة هو الدفن العلني للحقائق الموضوعية من خلال سيل من وسائل الإعلام تناشد العاطفة والمعتقدات الشخصية.

إن الكلمة الجذابة التي انتشرت بسرعة كبيرة تستحق بالتأكيد اهتمامًا دقيقًا وتعريفًا أكثر هشاشة، خاصةً إذا لم نرغب في التخلص من التوازن بسبب ظاهرة عالمية تهدف إلى القيام بذلك على وجه التحديد.

يمكننا أن نقول إن ما بعد الحقيقة ليس مجرد عكس الحقيقة، مهما كان تعريف ذلك؛ إنه أكثر تعقيدًا. من الأفضل وصفه بأنه مصطلح شامل، كلمة للتواصل تشتمل على مجموعة من الظواهر المختلفة ولكنها مترابطة.

تنبع قوتها المقلقة في الحياة العامة من صفاتها الهجينة، ومزيجها من العناصر المختلفة بطرق تتحدى التوقعات وتربك متلقيها.

ما بعد الحقيقة له صفات مؤتلفة. كبداية، هو نوع من التواصل الذي يتضمن الكذب القديم، إذ يقول المتحدثون أشياء عن أنفسهم وعالمهم تتعارض مع الانطباعات والقناعات التي يختبئون بها في أذهانهم.

عندما يقول شخص ما أكاذيب، فإنه يقول عمدًا أشياء يعرفها أنها ليست صحيحة، من أجل التأثير. مثال على ذلك ، عندما ادعى دونالد ترامب أنه لم يكن هناك جفاف في كاليفورنيا، أو أنه خلال تنصيبه، كان الطقس صافيًا، عندما سقطت أمطار خفيفة بالفعل أثناء خطابه.

يتضمن ما بعد الحقيقة أيضًا أشكالًا من الخطاب العام يُطلق عليها عادةً هراء. وهو يشمل التواصل الذي يزيح ويلغي المخاوف بشأن الصدق. هراء كلام المنمّق. إنه ينطلق من الفم، مدعومًا بالافتراض أنه مقبول للآخرين في المحادثة.

يعتمد مصطلح ما بعد الحقيقة أيضًا على الهراء، وقطع الاتصالات المبهرجة المصممة لجذب انتباه الجمهور وتشتيت انتباهه ومقاطعة الضوضاء الخلفية للسياسة التقليدية والحياة العامة. يتضمن مكونات ما بعد الحقيقة لحظات هراء ونكات وتفاخر. إنه يروّج للمزح الذكية، والتحذلق والمبالغات المتعمدة (مثل وصف مارين لوبان للاتحاد الأوروبي بأنه سجن ضخم).

هناك الكثير من الكلام الفظ. إن التناقض مع كلمات وابتسامات بيل كلينتون وفيليبي غونزاليس وتوني بلير وغيرهم من السياسيين من العام الماضي أمر مذهل. الغموض يأتي بكثرة. فيلدرس متخصص في إثارة المشاكل، كما لو كان يصف المساجد بقصور الكراهية.

المثير للقلق، هناك الكثير من الحديث عن أهمية الحقيقة، والتي عادة ما يقصد بها الأقوال التي تؤكد صحتها نفسها، وبالتالي إثبات أن الحقيقة يمكن أن تجتذب المحتالين. هناك ذوق سيء واضح، كما يحدث عندما يدخل رئيس منتخب حديثًا إلى هيوستن أسترودوم، مكتظًا بالمشردين المصابين بصدمات نفسية والذين نجوا بصعوبة من الإعصار، ويقول: شكرًا لقدومكم.

لذلك هناك جهد لتشكيل مصادر المعلومات والمحتوى لأذواق المستخدمين. يمكننا القول أنه يظهر لنا نسخة مزخرفة من الحقيقة تم تكوينها وفقًا لأذواقنا، وهو شيء نقبله على أنه أكثر صدقًا من الحقائق الحقيقية الحقيقية.

قبل بضع سنوات، كان من المفاجئ لنا العثور على إعلانات لشراء المنتجات التي رأيناها على أمازون قبل بضع ساعات فقط على موقع ويب في مكان ما. اليوم هذا مجرد حدث عادي. يبدو، في الوقت الحاضر، أن الاستراتيجية المطبقة لبيع المنتجات على الإنترنت تُستخدم أيضًا في حالة الأخبار التي نريد استهلاكها. لا يمكن أن يبدو هذا غريباً بالنسبة لنا. كشف تقرير صادر عن مركز بيو للأبحاث قبل بضعة أشهر أن نصف الأمريكيين الشماليين الذين تتراوح أعمارهم بين ١٨ و ٣٠ عامًا يستهلكون الأخبار عبر منصات الإنترنت، وأن هذا اتجاه متزايد. لذلك فإن سوق استهلاك المعلومات لن يتوقف عن الازدياد، وإستراتيجية إعطاء العميل ما يريد هو السبيل لتحقيق ولائه. صحيح أن شراء الأخبار في هذا النوع من الوسائط ليس بوفرة ، ولكن هذا هو المكان الذي توجد فيه أقصى فرصة للتأثير على المستهلكين في المستقبل.

هذا يعني أنه عند استخدام المنصات الإلكترونية، ستقل احتمالية العثور على المعلومات التي من شأنها أن تتحدانا، والتي من شأنها توسيع نظرتنا للعالم أو اكتشاف الحقائق التي تدحض المعلومات الكاذبة.

حتى بالنسبة لشبكة اجتماعية مرنة مثل تويتر، يمكن أن يكون هذا هو الحال، بسبب النشر المستمر للتغريدات التي نالت إعجاب المتابعين. ومع ذلك ، سيكون من العبث أن ننسب كل اللوم في حقبة ما بعد الحقيقة إلى وسائل الإعلام واستراتيجياتها في نقل المعلومات. من الواضح أن اللوم يجب أن ينسب إلى الكاذبين، وبالتالي تحريف الحقائق الحقيقية. ولكن يبدو أنه من المهم أيضًا فحص الموقف الذي يمكن العثور عليه بين المستخدمين أو المستهلكين، وإن كان بإيجاز، وهو مسؤوليتنا المباشرة.

إن التعامل مع ما بعد الحقيقة كنوع من السياسات المشاكسة التي ترتدي معطفًا من ألوان عديدة، مثل نمط من الأكاذيب، الهراء والصمت، يساعدنا على فهم جودة مسرح الذي نعيش فيه.

عندما يُنظر إلى ما بعد الحقيقة على أنه أداء عام بقيادة فريق من السياسيين والصحفيين ووكالات العلاقات العامة ومراكز الفكر واللاعبين الآخرين ، فإن ما بعد الحقيقة هو معادل سياسي حديث وأحدث لعروض الفودفيل في أوائل القرن العشرين.

كانت مسرحيات الفودفيل القديمة تتميز بأقوياء ومغنين وراقصين وقارعي طبول وفنانين وسحرة وألعاب بهلوانية ورياضيين وممثلين كوميديين وحيوانات سيرك. لقد كان عرضًا. ما بعد الحقيقة هو عرض بنفس القدر. إنه موجه ضد الأنماط التقليدية للأداء، وهو مشهد عام منظم مصمم لدعوة الملايين من الناس والترفيه.

لكن ما بعد الحقيقة هو أكثر بكثير من الترفيه، أو فن الاختراع أو "ديكتاتورية الوهم" التي يتوسطها إنتاج السلع واستهلاكها السلبي.

في حين أن علم الأنساب لما بعد الحقيقة يمكن إرجاعه جزئيًا إلى عالم إعلانات الشركات والترفيه الذي يحركه السوق، إلا أنه يتمتع بصفات سياسية شاملة. في أيدي الأقوياء أو العازمين على تسلق سلالم السلطة على الآخرين ، تعمل ظاهرة ما بعد الحقيقة كسلاح جديد للتلاعب السياسي.

ما بعد الحقيقة لا يتعلق فقط بالفوز بالأصوات أو الانحياز إلى الأصدقاء أو التعامل مع الأعداء السياسيين بل له آثار ضارّة أكثر.

”

كيف تستطيع أمّة
أن تصنع مستقبلها
وهي في قبضة
ماضيها، يعصرها
عصرًا حتى يستنفذ
كل ذرة من طاقاتها.

“

~ غازي القصيبي

لماذا كل هذا التحامل على العلمانية؟

ظهر مصطلح العلمانية (Secularism) لأول مرة عام ١٨٥١ على يد الكاتب البريطاني جورج هوليوك، في محاولة منه لوصف نظام اجتماعي منفصل عن الدين بشكل كامل، ومنذ ذلك الحين، ومع كل النجاحات التي تمكنت الدول التي طبقت النظام العلماني من تحقيقها، لم تتوقف الانتقادات للعلمانية ولا محاولات تحوير المصطلح ودمجه مع مصطلحات ومفاهيم أخرى بما في ذلك الإلحاد ونشر الفحشاء وعبادة الشيطان وغيرها من الكليشيهات التي تُستخدم عادة في مجتمعات العالم الثالث لنبذ أي محاولات لتغيير المجتمع. فما هو المعنى الحقيقي للعلمانية، ولماذا لا نزال نشهد محاولات لشيطنتها وتشويه صورتها في العديد من المجتمعات بالرغم من النجاحات التي حققتها –ولا تزال تحققها– الأنظمة العلمانية حول العالم؟

ما هي العلمانية

لا يوجد تعريف واحد محدد متفق عليه لوصف العلمانية ، لكن تعريفاتها المختلفة تتمحور حول فكرة امتناع الحكومة أو الدولة عن إجبار أي من مواطنيها على اعتناق وتبني معتقد أو دين أو تقليد معين لأسباب ذاتية غير موضوعية والامتناع عن تبني دين رسمي للدولة، وبنفس الوقت، التكفل بحماية جميع الأفراد بغض النظر عن انتمائهم الديني أو العقائدي. وبمعنى عام، يشير هذا المصطلح إلى الرأي القائِل بأن الأنشطة البشرية والقرارات –وخصوصا السياسية منها– يجب أن تكون غير خاضعة لتأثير المؤسسات الدينية.

تعرف دائرة المعارف البريطانية العلمانية بأنها: «حركة اجتماعية تتجه نحو الاهتمام بالشؤون الدُنيوية بدلاً من الاهتمام بالشؤون الأخروية. وهي تُعتبر جزءًا من النزعة الإنسانية التي سادت منذ عصر النهضة؛ الداعية لإعلاء شأن الإنسان والأمور المرتبطة به، بدلاً من إفراط الاهتمام بالعُزوف عن شؤون الحياة والتأمل في الله واليوم الآخر. وقد كانت الإنجازات الثقافية البشرية المختلفة في عصر النهضة أحد أبرز منطلقاتها، فبدلاً من تحقيق غايات الإنسان من سعادة ورفاهٍ في الحياة الآخرة، سعت العلمانية في أحد جوانبها إلى تحقيق ذلك في الحياة الحالية».

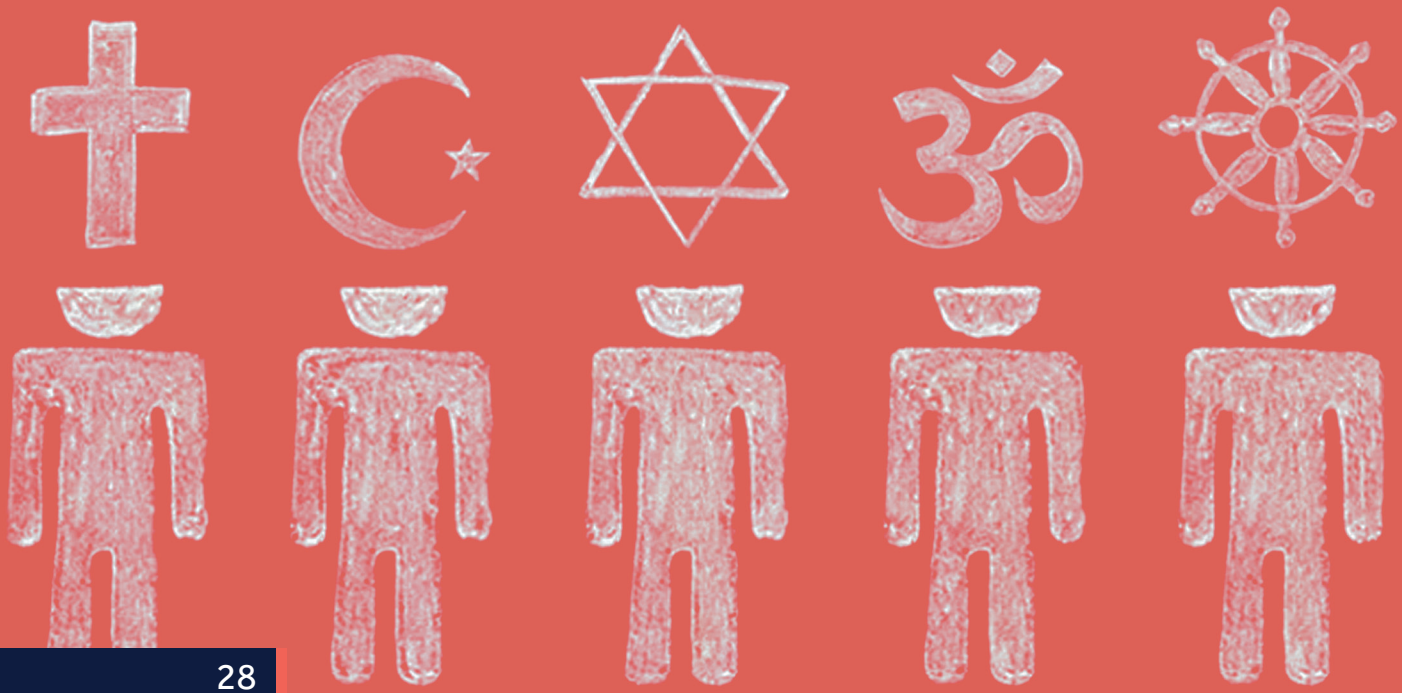

تسعى المعرفة العلمانية لتحقيق التطور والرفاه في حياة الأفراد، وبناءً عليه، يمكن القول أن العلمانية ليست أيديولوجيا أو عقيدة بقدر ما هي طريقة حكم ترفض وضع الدين -أو سواه- كمرجع رئيسي للحياة السياسية والقانونية، وتتجه إلى الاهتمام بالأمور الحياتية للبشر بدلاً من الأمور الأخروية، أي الأمور المادية الملموسة بدلاً من الأمور الغيبية.

تختلف الفلسفة الخاصة بالعلمانيين الأخلاقيين في العديد من الأمور، إلا أن هناك مجموعة من القواعد التي تصف العلمانية والتي يتفق عليها جميع العلمانيين الأخلاقيين، ومن أهمها:

١. تمنح صفةُ التعاطفِ البشرَ القدرةَ على وضع أسس أخلاقية.

٢. رفاهية الآخرين شأن رئيسي لصانع القرار الأخلاقي.

٣. يمكن للبشر، من خلال المنطق والعقل، أن يستخلصوا المبادئ المعيارية للسلوك.

٤. يتحمل البشر المسؤولية الأخلاقية للتأكيد على المجتمعات والأفراد لتتصرف على أساس هذه المبادئ الأخلاقية.

تاريخ العلمانية وتطور المصطلح

يرى البعض في جملة السيد المسيح الواردة في الإنجيل «اعطِ لقيصر ما لقيصر واعطِ لله ما لله» أساساً للفصل بين الشقين السياسي والديني، وبالتالي أساس للعلمانية.على مدى القرون التالية الطويلة تطوّرت حالة الفصل النظرية والعملية بين الحيزين بشكل تدريجي، وكانت دعوة الكاتب مارسيل البدواني لاستقلال الملك عن الكنيسة في القرن الثالث عشر في أوروبا نقلة نوعية في الفكر العلماني. خلال عصر النهضة في أوروبا كتب الفيلسوف وعالم اللاهوت غيوم الأوكامي حول أهمية العلمانية ، وصفها بأنها: «فصل الزمني عن الروحي، فكما يترتب على السلطة الدينية وعلى السلطة المدنية أن يتقيدا بالمضمار الخاص بكل منهما، فإن الإيمان والعقل ليس لهما أي شيء مشترك وعليهما أن يحترما استقلالهما الداخلي بشكل متبادل».

بدأ الفصل بين الشقين الديني والسياسي في الدولة يأخذ شكلاً مؤسساتيًا بعد الحروب الدينية في أوروبا بين القرنين السادس عشر والسابع عشر، وهو ما ساهم بترسيخ حالة الاستقرار في القارة الأوروبية وتشكيل الأوطان بالدول التي حكمتها.

كان الكاتب البريطاني، جورج هوليوك، أول من وضع مصطلح العلمانية (Secularism) بشكله الحالي عام ١٨٥١، واقتصر دوره على توصيف ما سبق للفلاسفة أن صاغوه حول الأنظمة الاجتماعية المنفصلة عن الدين. أكد هوليوك على أن العلمانية والأخلاق العلمانية يجب ألا يهتما على الإطلاق بالتساؤلات الدينية (لأنها غير مرتبطة بها)، وبالتالي يجب التمييز بينها وبين الفكر الحر القوي والإلحاد، وفي كتابه المنشور في عام ١٨٩٦ «العلمانية الإنجليزية» وصف هوليوك العلمانية بما يلي:

«العلمانية هي رمز الواجب المتعلق بهذه الحياة، والمؤسسة على اعتبارات بشرية خالصة، ومخصصة بشكل رئيسي لمن يعتبرون اللاهوت غير متكامل أو غير كاف أو لا يمكن الاعتماد عليه».

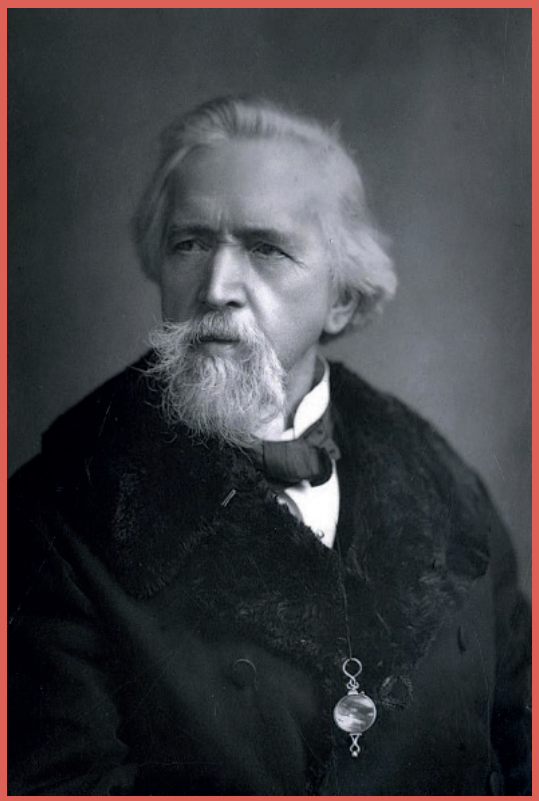

الكاتب الإنجليزي، جورج هوليوك.

تشويه مفهوم العلمانية

من الممكن لنا أن نعتبر مصطلح العلمانية واحدًا من أكثر المفاهيم التباسًا وعرضة لسوء الفهم في مجتمعاتنا الإسلامية والعربية التي عادة ما ترى فيها مؤامرة غربية استعمارية تحاك من الدول الغربية لهدم أسس الأخلاق أو أنها -في أحسن الأحوال- منظومة غربية لا تليق بأخلاقنا وعاداتنا وتقاليدنا، وتهدد مجتمعنا بالتفكك، حتى أصبح موضوع شيطنة العلمانية الشغل الشاغل للمتعصبين دينيًا لرفض قيم الحداثة والمدنية والتعددية.

إن مفهوم الفصل بين الدين والدولة بحد ذاته إشكالي، ويرفضه المنادون بإقامة الدولة الدينية التي تستمد جميع شرائعها من الدين. مع ذلك يعتقد العديد من رافضي العلمانية بأنها تدعو لنشر الإلحاد أو محاربة الدين والفجور وإشاعة «الفحشاء»، شاع هذا الفهم الخاطئ لمفهوم العلمانية بعد عقود من محاولات المتعصبين لتشويهها لأنها تمنعهم من فرض معتقداتهم (حتى لو كانوا أغلبية في المجتمع) على الآخرين، ولأنها تعطي الأقليات الدينية والطائفية والعرقية حقوقًا متساوية مع الأغلبية، وتسمح لهم بالترويج لمعتقداتهم وممارسة جميع طقوسهم الدينية، وتمنع الأكثرية من التعرض لهم (بدعوى امتلاكهم الحقيقة المطلقة)، وهو ما يرفضه المتشددون دينيًا جملة وتفصيلاً. خلال التاريخ، ساهمت الحركات المتشددة دينيًا في شيطنة العلمانية باعتبارها تهديداً للهوية الثقافية والدينية للمجتمع، الأمر الذي ساعد هذا الخوف من العلمانية على صعود مضطرد ومقلق لدعاوى الخصوصية الثقافية التي عنت، في معظمها، الانغلاق على تجارب التراث العربي وما يمكن أن يتسق معه من التجارب الحديثة.

تستند العلمانية في تطورها المؤسساتي إلى الرؤية الليبرالية التي تقوم على أساس الحرية الفردية وأولويتها على القيد الاجتماعي وتوسيع حيز الحريات الفردية للحد الأقصى شريطة ألا تؤدي هذه الحريات إلى الأضرار بالمصالح المشروعة للأفراد الآخرين. يمنح المحافظون في الغرب القيم والنصوص السابقة الأولوية على الحرية الفردية، لكن المحافظين والليبراليين الغربيين يتفقان على ضرورة تطبيق مبدأ العلمانية في الدولة بما يضمن المساواة والحفاظ على السلم الأهلي.

إن الفهم السائد للعلمانية في مجتمعاتنا والتركيز على الشق العقائدي، جعل من السهل إقناع العامة بأن المفهوم يعني رفضًا مباشرًا للدين، ومحاربة لكل التصورات المثالية التي تُبنى على أسس دينية محضة، وهمّش النطاقات الأخرى التي جاءت العلمانية لحمايتها، كالفكر والفلسفة والعلم والفن. يعني مفهوم العلمانية ببساطة وقوف الدولة موقف الحياد من جميع الأديان والمعتقدات المنتشرة بين السكان بغض النظر عن الأغلبية، وقد سمح تطبيق العلمانية للأقليات الدينية في دول أوروبا وأمريكا الشمالية من الوصول إلى مناصب حساسة في الدولة، ولجوء البعض لربطها بالإلحاد والإباحية ناتج إما عن قصور في فهم المصطلح أو عن محاولات مقصودة لفرض أغلبية دينية معينة لمعتقداتها على الأقليات الدينية ومنعها من ممارسة طقوسها الدينية أو حقها في التعبير عن آرائها.

النسوية العربية
الجذور والتاريخ

كان مؤتمرا القومية العربية عامي ١٩٣٨ و ١٩٤٤ في القاهرة، من الأحداث التي عززت الوعي النسوي العربي وكان الجدل النسوي ينفجر في العالم العربي منذ الخمسينيات فصاعدًا. منذ ذلك الحين، تحقق عدد من الكتّاب في كتابات النساء الرائدات في سوريا واعترفوا بوجود شخصيات نسائية جديدة، لكنهم يجادلون بأن هذه الظاهرة ظهرت في الخيال فقط منذ السبعينيات فصاعدًا. المرأة الجديدة هي نوع من الشخصية الأنثوية تكاد تكون غائبة بالكامل في الفترات السابقة؛ بدأت تظهر في روايات السبعينيات التي انفتحت على الاهتمامات الجماعية وعوالم خيالية مبنية على الواقع السياسي والاجتماعي في سوريا والعالم العربي. ظهر النضال النسوي للمرأة العربية، مع ذلك، في وقت أبكر بكثير ضمن الرواية العربية في نهاية القرن.

فيما يتعلق بالطبقة الاجتماعية، هناك تحول اجتماعي كان يحدث في مصر في عهد محمد علي، والذي امتد من ١٨٠٥ إلى ١٨٤٨. كانت الطبقات الوسطى والعليا في صعود بسبب سياسات محمد علي التحديثية، من جهة وعلاقتهم الجيدة مع البريطانيين المستعمرين من جهة أخرى. نتيجة للنظام الرأسمالي الجديد، واجهت النساء منافسة كبيرة وفقدن وظائفهن، وهذا بدوره دفعهن للعودة إلى المنزل، والذي كان المجال الوحيد الذي يتمتع فيه بنوع من السلطة وشكل مقيد من الإدارة. تسبب هذا الوضع في عزلة نساء الطبقة الوسطى والعليا. كما أنه حرمهم من أي فرص للتعليم العام، ولكن لأنهم ينتمون إلى أسر ثرية، فإن هذه الأسر قادرة على توفير التعليم الخاص لهم في المنزل على الرغم من التكاليف المرتفعة. كانت النساء اللواتي ينتمين إلى الطبقات الاجتماعية الدنيا أقل حظًا لأنهن لم يكن بإمكانهن دفع تكاليف التعليم الخاص. ومع ذلك، فقد كانوا محظوظين بما يكفي للتمتع بحياة أقل انعزالًا لمجرد أن مساعدتهن غير مدفوعة الأجر كان يحتاجها أزواجهن، الذين كانوا تجارًا صغارًا أو أصحاب دكاكين أو حتى عمال.

هذه الازدواجية في العزلة الاجتماعية والوصول إلى التعليم الخاص، والتي تشير إليها العديد من الموارد على أنها تشمل اللغات الأجنبية، ساهمت بشكل كبير في جعل نساء الطبقة الوسطى والعليا البادئات في البحث عن هوية نسائية جديدة في مصر والعالم العربي.

سعت النسويات العربيات الأوائل إلى تحقيق المساواة بين الجنسين وتمكين المرأة من خلال رفض أيديولوجية المجالات المنفصلة لإيجاد مكان لها في المجال العام الذي كان في السابق مقصورًا على الرجال. ولعبور الحدود التي يفرضها الذكور، استخدمن استراتيجيات مختلفة تتراوح بين الكتابة (خاصة في الصحافة الدورية)، والنشاط السياسي، ورفض الزواج، وإنشاء صالونات وجمعيات أدبية. على الرغم من أن بعض هذه التكتيكات لم تؤد إلا إلى طمس الخطوط الفاصلة بين المجالين العام والمنزلي، إلا أن البعض الآخر كان بمثابة علامة على دخول المرأة العربية الناجح إلى المجال العام الذي بدأ في نهاية الصراع.

ساعد ظهور الكتابات الروائية في العالم العربي على زيادة نشر الصحف والدوريات. دوريات مثل سلسلة الفقاعات (بيروت ١٨٨٤)، ديوان الفقهاء (بيروت ١٨٨٥)، الراوي (الإسكندرية ١٨٨٨)، حديقة الأدب (القاهرة ١٨٨٨) ، ودوريات طويلة الأمد مثل الهلال (القاهرة ١٨٩٢) والمشرق (بيروت ١٨٩٨) والضياء (القاهرة ١٨٩٨) وفتنة الشرق (القاهرة ١٩٠٦) هي أمثلة على الصحافة التي شاع نشر القصص القصيرة والطويلة.

كما انعكست الشعبية المتزايدة للصحافة الدورية في تحسين وقبول الكتابة الروائية والقراءة. ومع ذلك، كانت المواقف تجاه الخيال لا تزال مختلفة بين النخبة. حول أهمية الأدب في الحركة النسوية المبكرة في العالم العربي، في الأدب أكثر من أي مجال آخر، تتمتع المرأة العربية بهوية وصوت مميز وتاريخ طويل، على الرغم من تسجيلها بشكل متقطع، من الامتياز. وبالمثل، فإن الأدب، في كل من الشعر والنثر، كان المجال الرئيسي الذي ركزت عليه النسويات العربيات الأوائل.

يجب أن يعود الفضل في نمو الحركة النسائية إلى رائداتها ، النساء اللائي جاءن أولاً ليروا وضعهن المتدني في المجتمع ولكي يفهمن أن هذه الدونية لم تكن مصيراً إلهيًا كان عليهن قبوله. وتزامن اندماج هذه الحركات النسائية المبكرة مع اندماج الحركة الإصلاحية ، التي ظهرت أولى حركاتها في نهاية القرن التاسع عشر.

إن ما حققته هؤلاء الرائدات لم يكن ضئيلاً ولم يكن مقبولاً بسهولة في ذلك المنعطف التاريخي. كان هذا وقت تنافس حاد في الرؤى، مقسمة بين أولئك الذين انبهروا اكتشاف حضارة الآخر وأولئك الذين رفضوا تلك الحضارة تمامًا، مطالبين بدلاً من ذلك بإخلاص عنيد لأساليب أسلافهم الصالحين.

من الواضح أن الجيل الأول من الجمعيات النسائية كان يركز على العمل الخيري. لقد ظهرن وسط الطبقات الثرية وحمل معيارهن نساء أرستقراطيات أو نساء من العائلات الحاكمة. هذه الملاحظة لا تقلل من قيمة العمل الخيري في حد ذاته؛ ومع ذلك، عندما يصبح هذا العمل هو الهدف الفريد للحركة النسائية، فإنه يصبح جدارًا عازلًا يقيد الخطاب حول نهوض المرأة. العمل الخيري هو عمل للمجتمع ككل. لا ينبغي أن يصبح المجال الوحيد للنساء أو الرجال وحدهم.

ظهر الفكر النسوي العربي المبكر في القصص الخيالية والمقالات الصحفية منذ نهاية القرن ، قبل عقود من الكتابات النسوية الأكثر شهرة في عصر إنهاء الاستعمار. ارتبطت هذه الظاهرة المبكرة في الغالب بالطبقات الوسطى والعليا وعكست زيادة الوعي بقضية المرأة. تلقي دراسة تاريخ النسوية في العالم العربي الضوء على المنظورات المحلية والاستعمارية تجاه هذه الحركة في أيامها الأولى. كما أنه يطلعنا على فهمنا للنسوية العربية اليوم والخيال المعاصر المرتبط بها.

إنجازات مشروع
بيت الحكمة الثاني
خلال
شهر أغسطس

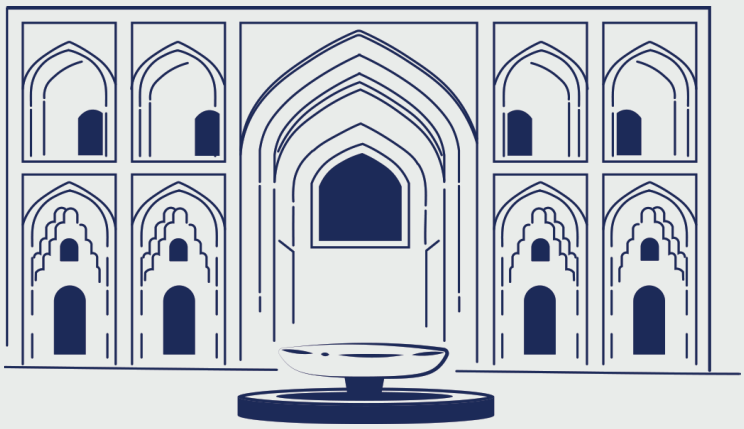

Bayt al-Hikma 2.0

ترجمة مقالات ويكيبيديا إلى اللغة العربية

بيت الحكمة 2.0
Bayt al-Hikma 2.0

ويكيبيديا
الموسوعة الحرة

ترجم مشروع بيت الحكمة قرابة **388 مقال** مثريًا المحتوى العربية على الإنترنت بمقالات مهمة تنوع ما بين الطب والفيزياء والفلسفة والسير الشخصية لعدد من الأشخاص المؤثرين في مسار التاريخ. حصدت هذه المقالات أكثر من **7 ملايين زيارة** خلال شهر أغسطس.

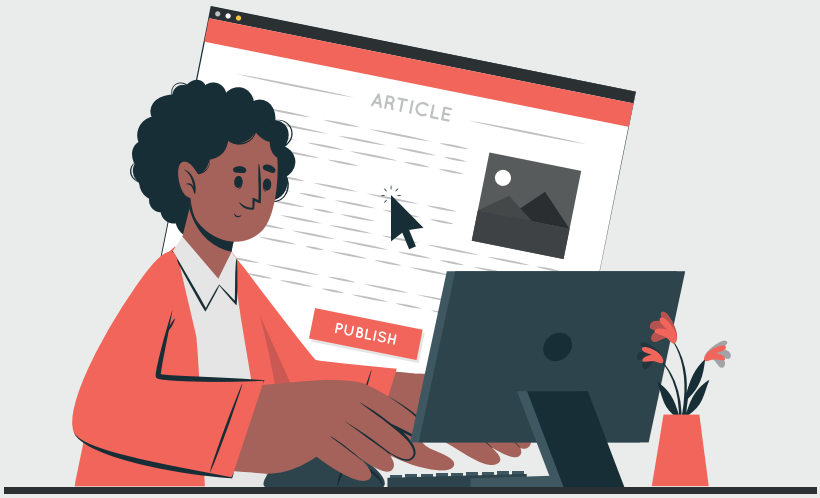

ترجمة الكتب

ترجم مشروع بيت الحكمة كتاب **مدخل إلى لودفيج فون ميزس للمؤلف إيمون باتلر.**

نبذة عن الكتاب

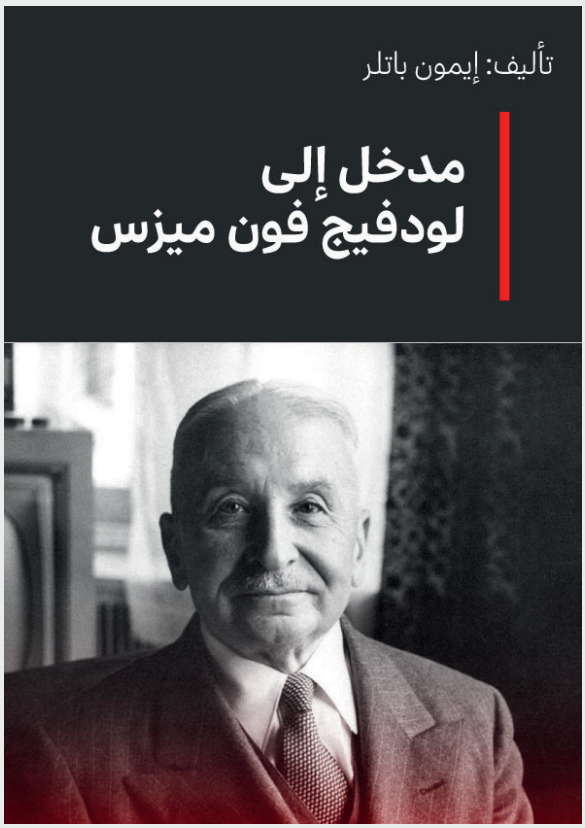

كان لودفيج فون ميزس أحد أعظم الاقتصاديين وعلماء السياسة في القرن العشرين، وفي وقت تجتاحنا فيه أزمة اقتصادية، يوضح هذا الكتاب مدى شدة اتصال ميزس بعصرنا الحالي. لقد أحدث ميزس ثورة في فهم المال والتضخم والكساد؛ فدحض على نحو شامل حجج الاشتراكية؛ وأنتج نقدًا ماحقًا لمنهجيات علوم الاقتصاد السائدة. أثمرت إسهاماته التي قدمها إلى المدرسة النمساوية عن أساس فكري استند عليه مفكرون مثل فريدريك هايك وموراي روثبارد وإسرائيل كيرزنر. في هذا الكتاب، يقدم إيمون باتلر نظرة عامة شاملة، وفي الوقت عينه سهلة الفهم، لمنجزات ميزس العظيمة.

بينما نجد علوم الاقتصاد السائدة في حالة عوز شديد، فإن الكساد الأخير يبدو وأنه كان متسقًا تمامًا مع تحليله. ويمكن لأداء الحكومة السيء في قطاعات الصحة والتعليم أن يفسر من قبل نظريات ميزس النمساوية. لكن على أي حال، يظل ميزس متجاهلاً من العاملين بالاقتصاد وصناع السياسة والأكاديميين. وفي هذا المدخل يشرح باتلر لماذا ينبغي أن تكون أعمال ميزس جوهر الفكر الاقتصادي.

الفيديوهات

نشر مشروع بيت الحكمة **15 فيديو** في شهر أغسطس وحققت هذه الفيديوهات **أكثر من أربع ملايين** مشاهدة منصات فيسبوك وانستغرام ويوتيوب.

لماذا كل جيل يرى نفسه الجيل الأفضل؟
Reach: 1,602,615
Views: 705,652
Engagement: 5,699

Atlas Shrugged Novel by Ayn Rand Atlas Shrugged Novel
Reach: 814,076
Views: 397,593
Engagement: 887

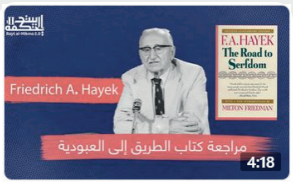

مراجعة كتاب: الطريق إلى العبودية
Reach: 1,499,986
Views: 653,790
Engagement: 3,993

الهبوط على القمر خديعة أم حقيقة؟
Reach: 1,741,215
Views: 777,519
Engagement: 7,265

هل العالم مقبل على مجاعة؟
Reach: 1,463,916
Views: 869,072
Engagement: 7,277

ماذا تعرف عن الفوسفات وثروته الهائلة؟
Reach: 1,852,485
Views: 959,874
Engagement: 8,282

ما هي المعادن الأرضية النادرة وما هي أهميتها في حرب الصين وأمريكا التجارية؟
Reach: 1,098,653
Views: 530,760
Engagement: 3,217

هل يتحول جدري القردة إلى جائحة بحلول الشتاء؟
Reach: 2,235,637
Views: 1,460,695
Engagement: 5,371

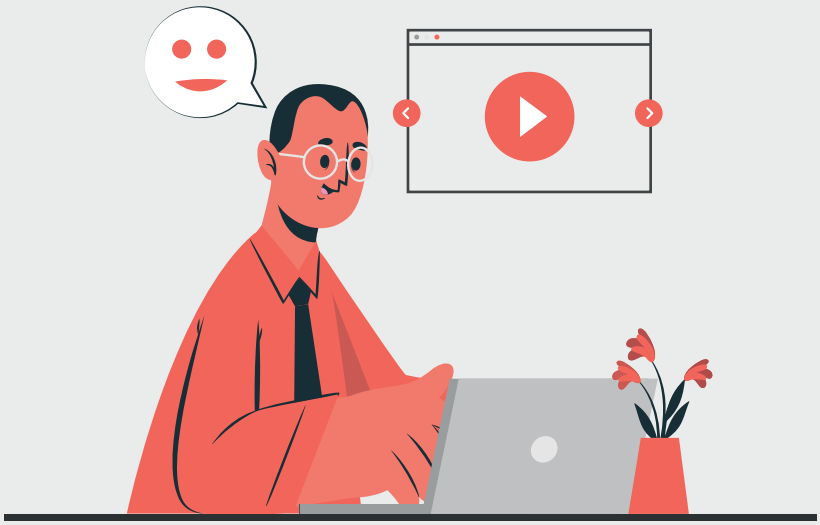

الحضور على وسائل التواصل الاجتماعي

زاد عدد متابعي مشروع بيت الحكمة على منصات التواصل الاجتماعي زيادة ملحوظة إذ ارتفع متابعو صفحة مشروع بيت الحكمة على موقع فيسبوك بأكثر من **20** ألف متابع جديد وأكثر من **3** آلاف متابع على منصة انستغرام وأكثر من ألفي مشترك على قناة المشروع على منصة يوتيوب.

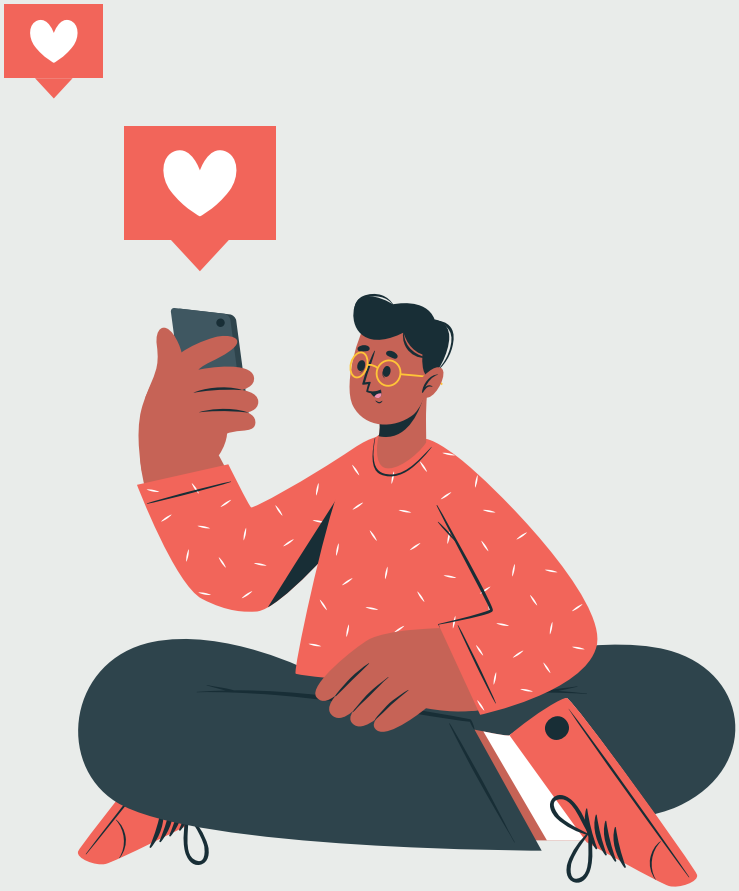

نجعل غير المُتاح **مُتاحاً**